الشيخ: محمد مفتاح قريو

معارك الجهاد

التي وقعت في مصراتة زمن الحروبات الإيطالية

[illegible]

معارك الجهاد

التي وقعت في مصراتة زمن الحروبات الإيطالية



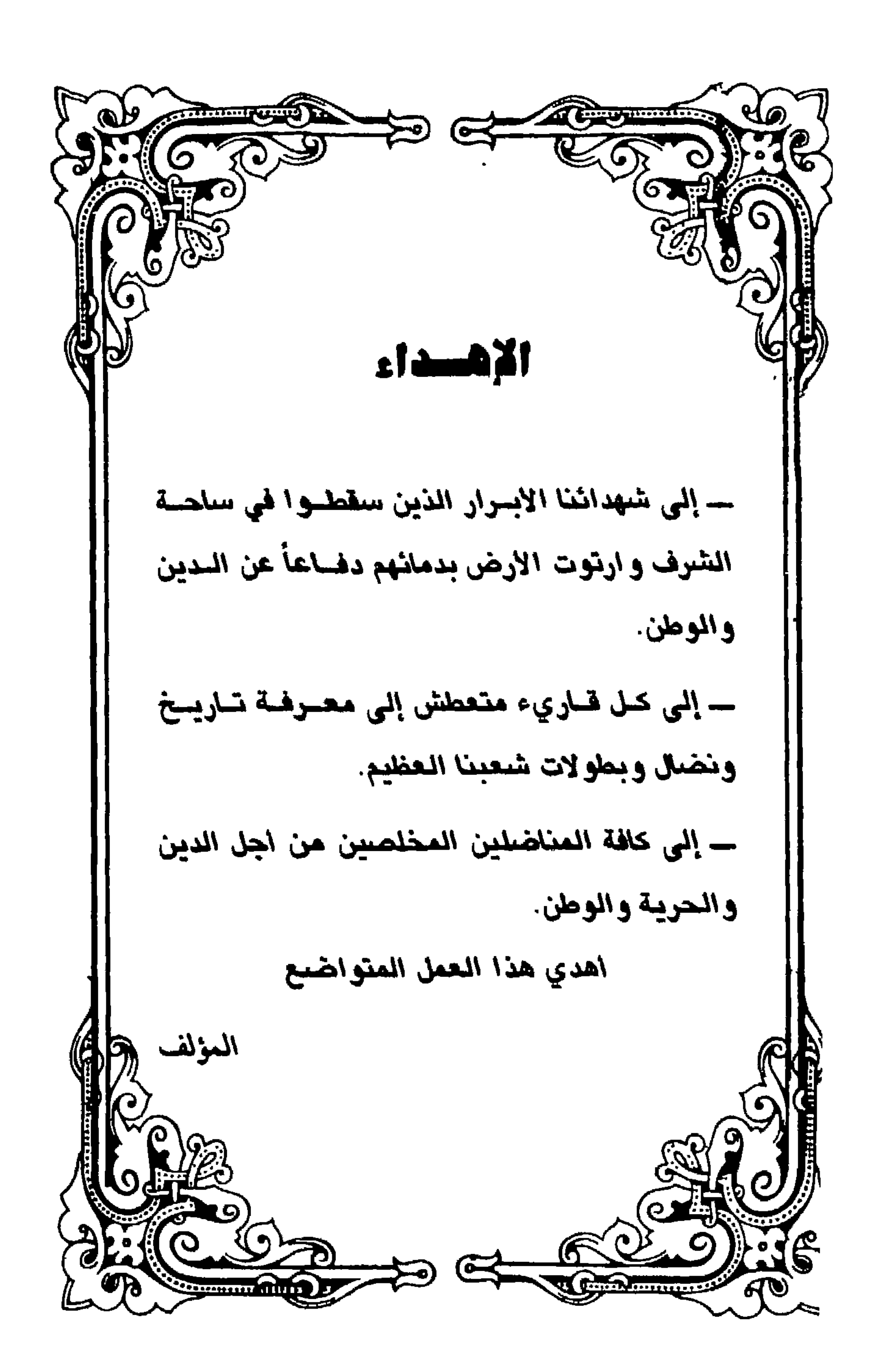
الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص.ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات

الطبعة الاولى 1403 و.ر 1994 م

رقم الإيداع 1525 - 1994م - دار الكتب الوطنية - بنغازي



الإهداء

- إلى شهدائنا الابرار الذين سقطوا في ساحة الشرف وارتوت الأرض بدمائهم دفاعاً عن الدين والوطن.

- إلى كل قاريء متعطش إلى معرفة تاريخ ونضال وبطولات شعبنا العظيم.

- إلى كافة المناضلين المخلصين من اجل الدين والحرية والوطن.

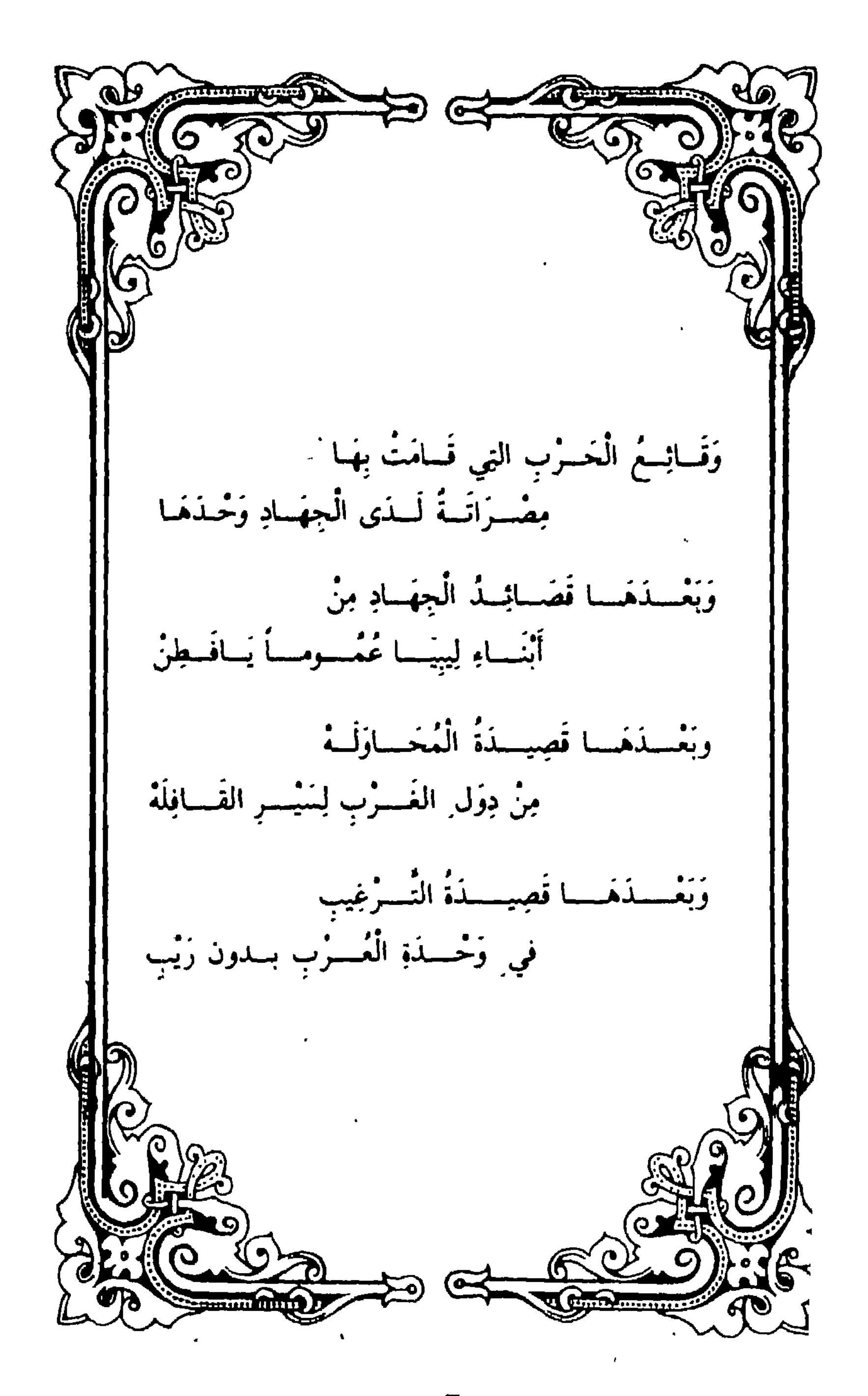
اهدي هذا العمل المتواضع

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

صدق الله العظيم



وَقَائِعُ الْحَرْبِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا
مِصْرَاتَةُ لَدَى الْجِهَادِ وَحْدَهَا

وَبَعْدَهَا قَصَائِدُ الْجِهَادِ مِنْ
أَبْنَاءِ لِيبِيَا عُمُوماً يَا فَطِنْ

وَبَعْدَهَا قَصِيدَةُ الْمُحَاوَلَةْ
مِنْ دِوَلِ الْغَرْبِ لِسَيْرِ الْقَافِلَهْ

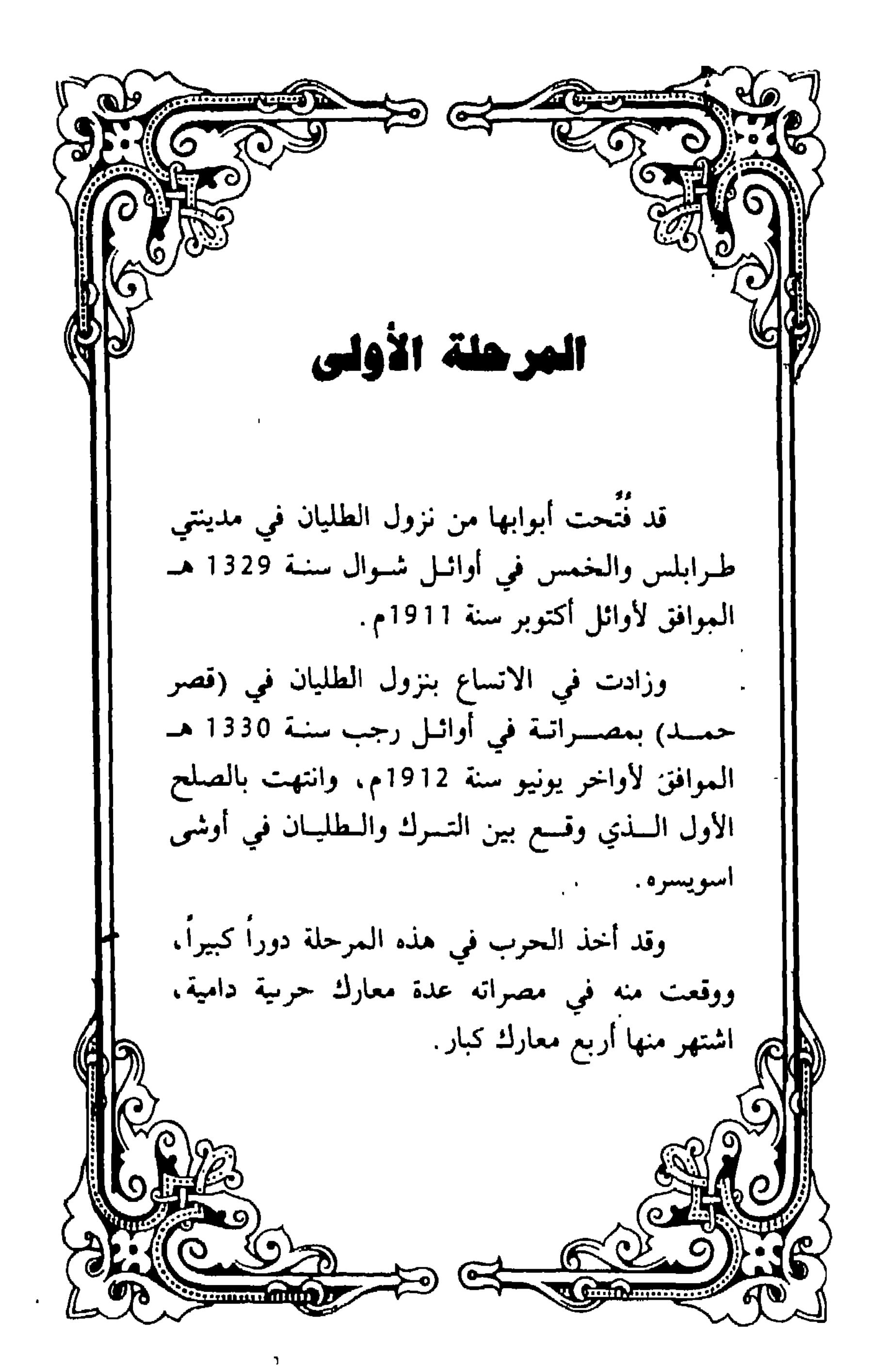
وَبَعْدَهَا قَصِيدَةُ التَّرْغِيبِ
فِي وَحْدَةِ الْعُرْبِ بِدُونِ رَيْبِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أفقر العباد إلى العلي القدير، محمد مفتاح قرِّيو ذو العجز والتقصير، قد أرسل إليَّ بعض الإخوان رسولاً كلمني مشافهة، فقال ـ لي ـ إن أخاك فلاناً يقرئك السلام، ويلتمس منك إن أمكن بيان الوقائع الحربية التي وقعت بين العرب والطليان في مصراته أوان الغزو الإيطالي لليبيا، على سبيل الاختصار؛ للاستعانة به على إقامة ذكرياتها، والله يوفق الجميع لما فيه الخير.

فأجبته على حسب ماعرفته منها بالاستقراء والتتبع والدراسة لها، بأن الوقائع الحربية التي وقعت بين العرب والطليان في مصراتة أوان الغزو الإيطالي لليبيا، قد تنوعت إلى ثلاث مراحل، فهاكم مني بيانها على الترتيب؛ لتسلموا من الغلط والتخليط.



المرحلة الأولى

قد فُتِّحت أبوابها من نزول الطليان في مدينتي طرابلس والخمس في أوائل شوال سنة 1329 هـ الموافق لأوائل أكتوبر سنة 1911م.

وزادت في الاتساع بنزول الطليان في (قصر حمد) بمصراتة في أوائل رجب سنة 1330 هـ الموافق لأواخر يونيو سنة 1912م، وانتهت بالصلح الأول الذي وقع بين الترك والطليان في أوشى اسويسره.

وقد أخذ الحرب في هذه المرحلة دوراً كبيراً، ووقعت منه في مصراته عدة معارك حربية دامية، اشتهر منها أربع معارك كبار.

الأولى: واقعة يوم احتلال المواطين

والمراد بالمواطين: مدينة مصراتة، وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن مدينة مصراتة تسمى عند جميع أهالي مصراتة بالمواطين.

وقد وقعت هذه الواقعة يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م، وكان وقوعها في السبخة التي بين قصر حمد، وقرية الشوارن، والروس، ورأس البرج.

وسبب وقوعها أن الطليان لما أرادوا احتلال مصراتة جاءوا إليها على حين غفلة من أهلها بعد أن علموا أن رجالها بعضهم يجاهد مع المجاهدين، ويقاتل مع المقاتلين في طرابلس، وبعضهم الآخر يجاهد مع المجاهدين ويقاتل مع المقاتلين في الخمس، ومع ذلك لم يفاجئوها إلّا ليلاً، ولذلك تمكنوا من الوصول إلى شاطىء بحرها، ونزلوا فيها على ميناء قصر حمد قبل يوم احتلال مدينتها بثلاثة وعشرين يوماً.

وقد بلغ خبر نزولهم جميع جهات مصراتة وسكانها بسرعة تشبه سرعة التيار الكهربائي، فبادر رجالها الموجودون للجهاد في سبيل الله والوطن، وجاءوا لقصر لحمد ووقفوا أمام جيش العدو كالبنيان المرصوص، وانضم إليهم كل من كان في طرابلس وفي الخمس، بأمر من القائد العام نشأت بِكْ التركي، وأناب عنه في قيادتهم السيّد حسن بِكْ الشريف المصراتي.

وبينما هم يفكرون في خطة الهجوم على العدو، وإذا به قد فاجأهم بالخروج عليهم فجر يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م؛ لاحتلال المواطين في صفة تشبه الكمّاشة.

الأولى: واقعة يوم احتلال المواطين

والمراد بالمواطين: مدينة مصراتة، وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن مدينة مصراتة تسمى عند جميع أهالي مصراتة بالمواطين.

وقد وقعت هذه الواقعة يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م، وكان وقوعها في السبخة التي بين قصر حمد، وقرية الشوارن، والروس، ورأس البرج.

وسبب وقوعها أن الطليان لما أرادوا احتلال مصراتة جاءوا إليها على حين غفلة من أهلها بعد أن علموا أن رجالها بعضهم يجاهد مع المجاهدين، ويقاتل مع المقاتلين في طرابلس، وبعضهم الآخر يجاهد مع المجاهدين ويقاتل مع المقاتلين في الخمس، ومع ذلك لم يفاجئوها إلاّ ليلاً، ولذلك تمكنوا من الوصول إلى شاطىء بحرها، ونزلوا فيها على ميناء قصر حمد قبل يوم احتلال مدينتها بثلاثة وعشرين يوماً.

وقد بلغ خبر نزولهم جميع جهات مصراتة وسكانها بسرعة تشبه سرعة التيار الكهربائي، فبادر رجالها الموجودون للجهاد في سبيل الله والوطن، وجاءوا لقصر لحمد ووقفوا أمام جيش العدو كالبنيان المرصوص، وانضم إليهم كل من كان في طرابلس وفي الخمس، بأمر من القائد العام نشأت بِكْ التركي، وأناب عنه في قيادتهم السيّد حسن بِكْ الشريف المصراتي.

وبينما هم يفكرون في خطة الهجوم على العدو، وإذا به قد فاجأهم بالخروج عليهم فجر يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م؛ لاحتلال المواطين في صفة تشبه الكمّاشة.

فقد خرج قسم من جيشه على المجاهدين من جهة الميناء وقصر حمد، واشتبك مع المجاهدين في قتال عنيف، وخرج قسم آخر من جيشه على قرية الوشيك التي شرقي أبي شعيفة، وامتد مع السبخة التي تقع في الجنوب الغربي من قرية الوشيك، حتى توغل فيها، وأراد بذلك أن يجعل جيشه شبه كمُاشة تنطبق على المجاهدين من الأمام والخلف، ولكن اطّلع المجاهدون على هذه الخطة، فانسحب جناحهم الشمالي إلى قرية الملائطة، وقرية الشوارن، وجناحهم الجنوبي إلى قرية الروس، وبلألة وتربصوا للطليان حتى وصلوا إلى السبخة التي بين قصر حمد والمواقع المذكورة، فعند ذلك أطلقوا على جيش العدو الرصاص، ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، دامت من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الحادية عشرة، ثم تكاثر جيش الطليان كثرة هائلة، وامتد مع السبخة لجهة الجنوب إلى مسافة بعيدة، فخشي المجاهدون أن يجعلوا لهم خطة شبه الكماشة مرة أخرى، فانسحبوا أمام جيش العدو ببطء مع استمرار إطلاق النار بين الطرفين، وصار جيش الطليان يتقدم ويحتل، فاحتل الزروق عند تمام الساعة الثانية عشرة، ثم واصل سيره وتقدمه إلى أن وصل مدينة مصراتة المواطين واحتلها عند تمام الساعة الثالثة بعد نصف النهار من ذلك اليوم.

ووصل المجاهدون المقاتلون إلى منازل المقاصبة، وأولاد أبي شعالة جنوبي المواطين، وإلى منازل أولاد أبعيو غربي المواطين، واستقروا هناك في المواقع الثلاثة، وجعلوها مراكز لخط القتال، وانتقل مركز المجاهدين العام إلى كرزاز، وانتقلت الحكومة المحلية إلى منازل الدرادفة في الغيران، وانتقل جميع أهالي مصراتة الشرقية إلى أرض جيمي والكراريم، ودونهم مركز المجاهدين في كرزاز،

وانتقل جميع أهالي مصراتة الغربية إلى أرض فلّاجة وعَبد الرءوف، ودبنهم الحكومة المحلية في الغيران.

وقد استشهد في ذلك اليوم من مصراتة نحو ثلاثمائة شهيد، مائتان من المجاهدين، منهم الفارس المشهور الشيخ حسن أبو سدرة، ومائة من المدنيين، وأصيب عدد من المجاهدين بجراح منهم رمضان بك السويحلي، بعد أن أدُّوا ضريبة الجهاد لله والوطن، وقد رجحت فيه كفة انتصار العدو باحتلال المدينة.

الثانية: واقعة الرميلة

تصغير رملة، ويقال لها ـ أيضاً ـ رميلة الصوالح، وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأن جيش الطليان لم ينهزم في ذلك اليوم إلاّ بعد أن وصل إلى رميلة الصوالح.

وسبب هذه الواقعة أن الطليان استفزتهم نشوة انتصارهم يوم 8 يوليو، واستضعفوا شأن العرب، وزعموا أن الفرصة قد سنحت لهم لإتمام السيطرة على جميع أراضي مصراتة، وفهموا من جواسيسهم أن جميع أهالي مصراتة بعضهم في فلاجة وعبد الرءوف، ودونهم الحكومة المحلية في الغيران، وبعضهم الآخر في الكراريم وجيمي، ودونهم مركز المجاهدين العام في كرزاز، ورأوا أن مركز الحكومة المحلية أضعف من مركز المجاهدين، وأنهم إذا احتلوا مركز الحكومة، وَمن وراءه من الأهالي، يسهل عليهم بعد ذلك احتلال مركز المجاهدين، ومَن وراءه من الأهالي أيضاً؛ فلذلك جهزوا أنفسهم لتنفيذ هذه الخطة.

وخرجوا صبيحة يوم 20 يوليو سنة 1912م على المجاهدين في المقاصبة، وأولاد أبي شعالة، وأولاد ابعيو، وحصل بينهم وبين المجاهدين تبادل إطلاق النار، وصار جيش العدو يتدفق بكثرة مدهشة، وضيق على المجاهدين في جهة أولاد ابعيو تضييقاً شديداً، وامتد في الجهة الغربية حتى وصل إلى ضريح الحاج مسعود مع الطريق التي تخرج على شارع المحلة، ولهم أصوات مرتفعة يقولون ـ فيها ـ (غِيرَانْ، فَلاَّجَهْ).

ففهم المجاهدون أنهم يريدون الغيران وفلاجة، وأنهم تكاثروا

كثرة لايمكن معها صدهم، فشرعوا في الانسحاب أمامهم ببطء مع تبادل إطلاق النار بينهم وبين جيش الطليان.

وطيّر الخبر إلى مركز المجاهدين العام في كرزاز، فجاء جميع المجاهدين الاحتياطيين، إلى أن وصلوا أرض الخروبة، ورميلة الصوالح اللتين بينهما وبين مدينة المواطين مسافة خمسة كيلومترات في الجنوب الغربي.

وكمنوا في قوز المدني، وقوز الكوشة، وزيتون الجابرية، وكدية العصامنة، وترك الفلاحون مزارعهم وجاءوا من رأس الماجن والغيران، ودخلة سيدي مبارك، وزاوية المحجوب، وفي أيديهم المناجل والفؤوس، وتجمعوا وراء المجاهدين في سواني التومي والجابرية والعصامنة، إلى أن وصل المجاهدون المنسحبون أمام جيش الطليان إلى الكامنين، وخرج الطليان من قرية المدني، وأولاد سيدي فتح الله، وأولاد سيدي صالح، ودخلوا في حمادة الخروبة، ورميلة الصوالح، وكلتاهما أرض عارية ليس فيها شجر ولا حجر ولا بناء يتقي به، وانتشر ذلك الجيش فيهما، حتى صار على مقربة من المجاهدين الكامنين.

فعند ذلك أمطرهم المجاهدون بوابل من الرصاص، وصاروا يتساقطون مثل رطب النخيل من العراجين إذا هزها إنسان بقوة، ومع ذلك حاول الطليان التقدم، ولكنهم وجدوا الرصاص ينهال عليهم من الجهة القبلية، والجهة الجنوبية، والجهة الغربية بكثرة مدهشة، وكثر تساقطهم من الرصاص كثرة هائلة، وكثر التكبير من المجاهدين، والمهاجاة بالأراجيز من الفلاحين، والزغاريد من النساء.

ومن أراجيز الفلاحين - في ذلك اليوم -:

هَيًا هَيًا يَافُرْسَانْ

الْيَــــوْمْ عَلَى جَيْشِ الـــطّلْيَـــانْ * راهُمْ جُــــــوكُمْ بِلْجِيشــــــانْ

، وصارت مع ذلك ضجة لها دَوِيٌّ صاعد في الجو من سواني الغيـران القبلية، وسـواني الجابـريـة، وسـواني العصـامنـة، وقـوز العبيدات.

واسترسل الرصاص على جيشِ الطليان، حتى صار يحصدهم حصد الهشيم، فعند ذلك ارتعبوا، وخارت قواهم، وولوا الأدبار، وانهزموا، وركب المجاهدون أقفيتهم، وصاروا يمطرونهم من الأدبار بأشابيب من نار، ولم يتركوا مطاردتهم حتى دخلوا مدينة المواطين، واحتموا بجدرانها.

ورجع المجاهدون إلى مراكزهم في المقاصبة وأولاد أبي شعالة وأولاد ابعيو قبل الليل.

وبقيت جثث الـطليـان مبعثرة في رميلة الصـوالـح، وحمـادة الخروبة، والمسافة التي بينهما وبين مدينة المواطين، كالغنم المنتشرة في المرعى، وهي مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات، طولاً، وثلاثة كيلومترات عرضاً.

وكانت هزيمة الطليان في واقعة الرميلة من أكبر الهزائم، وخسارتهم فيها من أفدح الخسائر في العتاد والذوات معاً.

ولذلك قال الطالب الزجال محمد بن حمد الفرطاسي في واقعة الرميلة هذه:

يَــوْمْ ارْمِيْلَةْ بِبِيـدِي صَـــالِحْ   يَـــوْمْ عَـطِيبْ عَلَى الـطِلْيَـانْ

خَـرَجْ صَـائِـلْ يَمْشِي وِيْنَـابِـخْ يَبْغِى يَخْتَـــلْ الْغِيـــرَانْ
حَسَبْ نَفْسَـهْ مَنْصُـــورْ وَنَـاجِـخْ ظَـافَـرْ بِحْكُـومَـهْ وَعُـرْبَـانْ
لَكِنْ حَصَّـلْ قَـوْمْ جَـوَائِـخْ خَلُّو لَــهْ جَيْشَـهْ طَشَّـانْ

وقال محمد بن مسعود افشيكة ـ في تاريخ رمضان السويحلي ـ «ووجد الطليان أن خسائرهم كانت جسيمة، وأيقنوا استحالة صمودهم أمام ضراوة العرب في الكفاح، فلاذوا بالفرار والتقهقر نحو المواطين، وعلى الرغم من حرصهم على نقل جثث قتلاهم، ولا سيما من البيض، لكي لا ترتفع برؤيتها معنويات المجاهدين، فإنه مع ذلك لسرعة انسحابهم قد تركوا قسماً عظيماً منها، وخاصة من جثث المرتزقة الأحباش، التي كانت تغطى حمادة الصوالح وطرابيشهم الطويلة الحمراء منتشرة هنا وهناك»[1] إهـ.

وبالجملة فقد منى الطليان في واقعة الرميلة بهزيمة من أكبر الهزائم، وخسارة من أفدح الخسائر، فقد هلك فيها من جيشهم مايُنَاهِزُ ألف جندي، مع أن المجاهدين لم يصب منهم إلاّ نحو مائة رجل ما بين شهيد وجريح.

ومن الشهداء ـ في ذلك اليوم ـ أحد فرسان المجاهدين الحاج أحمد بن معيوف.

وقد قال ـ لي ـ كثير من المجاهدين ـ الذين حضروا واقعة الرميلة هذه ـ إنها من خوارق العادات بالنسبة لما وقع فيها، وأخبرني بعضهم بأنه شاهد أشخاصاً يقاتلون، وأشخاصاً آخرين يوزعون الخرطوش على المجاهدين، وأوصافهم تخالف أوصاف البشر.

(1) ص 62.

ولم أصدق في ذلك إلاّ بعد أن ذكره لي شخصان، كانا من أصدق الناس عندي، أحدهما محمد بن سليمان أبي شحمة، والثاني عمر بن مادى من قبيلة الرملة.

الثالثة: واقعة يوم الشبيط

والمراد بالشبيط: الأسلاك الشائكة؛ لأن الطليان لما احتلوا مدينة المواطين أحاطوها بسور من تراب وأخشاب، وربطوها بالأسلاك الشائكة، وسموا ذلك السور: (الكردون) باللغة الإيطالية، والأسلاك الشائكة ـ في لغة الليبيين العرفية ـ تسمى الشُّبَيْط على وزن (جُمَّيز).

وإنمـا اشتهـرت هـذه الـواقعـة بهـذا الاسم لأن الشبيط أعـان المجاهدين في ذلك اليوم.

وسببها أن واقعة الرميلة أثرت على نفوس الطليان تأثيراً قوياً، حتى جُنَّ جنـونهم، واشتـد غضبهم على أهـالي مصـراتـة، وأرادوا الانتقام منهم؛ ولذلك عجلوا بإعادة الكرة.

ففي فجر يوم 26 يوليو سنة 1912م هجموا على المجاهدين في المقـاصبـة وأولاد أبي شعـالـة وأولاد ابعيـو، ووقـع بينهم وبين المجاهدين قتال عنيف، وتكاثر جيش الطليان كثرة موحشة، وضيقوا على المجـاهـدين حتى كـادوا يختلطون بهم، لا سيمـا في جـرف المقاصْبة؛ فعند ذلك انسحب المجاهدون أمامهم، واحتل جيش الطليان مراكز المجاهدين، وأقاموا خط قتال أمام تلك المراكز، وأحجموا عن التقدم؛ لأنهم خافوا أن يصيبهم مثل ما أصابهم يوم الرميلة.

ووصـل المجاهـدون المنسحبون في الجناح الغربي إلى قـرية الجـراكسة وقـرية سيـدي بن عمران، وفي الجناح الشرقي إلى قـرية العوامر وقرية الـزوابي، واستمر القتـال بين الطرفين، وطيّـر الخبر إلى

مركز المجاهدين العام في كرزاز؛ فجاء المجاهدون الاحتياطيون، وكمنوا لهم في الخروبة، ورميلة الصوالح مدة، حتى أيقنوا بأن الطليان قد أحجموا عن التقدم بعد أن احتلوا مراكز المجاهدين؛ فعند ذلك غادروا المكان، وساروا إلى أن وصلوا إلى المجاهدين، الذين هم في خط القتال، واشتركوا معهم في إطلاق الرصاص على العدو.

وفكر المجاهدون في الخطة فتبين لهم أنهم إن لم يردوا مراكزهم من الطليان قبل الليل، فسيحكم عليهم الطليان بالهزيمة، ويصبح هاجماً عليهم في الأماكن التي هم فيها، وهكذا بالتدريج حتى يحتل جميع البلاد؛ فلذلك صبروا حتى جاءت الساعة الخامسة بعد نصف النهار، وصارت وجوه المجاهدين مقابلة للظل، ووجوه الطليان مقابلة للشمس، وتسلط عليهم حران، حر الشمس وحر الرصاص.

فعند ذلك نشط المجاهدون في القتال، وضيقوا على الطليان بالزحف نحوهم، وكثر منهم التكبير والمهاجاة بالأصوات العالية، حتى دنوا من العدو، ثم حملوا على الطليان حملة رجل واحد، بشجاعة وبسالة، وعنف وقوة، والتحموا معه حتى وقع بينهم التطاعن بالخناجر؛ فعند ذلك انهار جيش العدو، وولوا مدبرين، فارين إلى مدينة المواطين، وتسلط عليهم المجاهدون بالمطاردة، وصاروا يضربونهم بالرصاص من الخلف بلا هوادة، حتى وصل جيش الطليان إلى السور الذي جعلوه على المدينة، ولشدة خوفهم وارتعابهم من المجاهدين لم يهتدوا إلى الأبواب المجعولة فيه، ولم يصبروا حتى يرجعوا إليها من مطاردة المجاهدين لهم، بل ارتمى كثيرون منهم على السور، وأرادوا أن يجتاحوه فأمسكتهم الأسلاك الشائكة، وصاروا يعانون التخلص منها حتى لحقهم المجاهدون بالرصاص وقتلوهم.

ولـذلـك سميت بـواقعـة يـوم الشبيط، وبعض أهـالي مصـراتـة يسميها بواقعة جرف المقاصبة.

ولكن لما اجتمعت بالطالب الزجال علي بن حسن المقصبى ـ في حال حياته ـ وتذاكرنا على الوقائع الحربيـة في مصراتـة ـ قلت له: إن الواقعة التي هجم فيها الطليان على المجاهـدين بعد واقعـة الرميلة بخمسة أيام، سماها بعض الناس بواقعة جرف المقاصبة.

فقال: واقعة جرف المقاصبة وقعت بعد هذه الواقعة بنحو ثلاث سنين؛ لأنهـا وقعت في عهد رمضـان السـويحلي، بعـد رجـوعـه من القـرضابيـة، وأمـا هـذه فلم يقـع في الجـرف إلاّ بعض منهـا في أول النهار.

ثم قال: وأنا سميتها بواقعة يوم الشبيط، وأنشأ يقول:

يَـوْمْ الشُّبِّيطِ الْمَشْهُـورْ * الِلّي فِيـهِ الـطُّلْيَـانْ هَجَمْ
بَغِى ايْـرُدْ الثَّـارْ عَلَى الفَـوْزْ * جَـا يَـوْمْ عَلَيْـهْ امْـظَلِّمْ
فِيـهْ رَاحُـوا دُخَّـانْ سُحُـورْ * وَبَـاقِيهِمْ وَلُّـوْا بِـالْهَمْ
حِصْلُوا في شُبِّيْطِ السُّـوْر * وَمَـاتُـوا بِـرَصَـاصْ امْسَمَّمْ

وبعد أن هزمهم المجاهدون وطردوهم وردوهم إلى معاقلهم في المواطين، رجع المجاهدون إلى مراكزهم في المقاصبة وأولاد أبي شعالة وأولاد ابعيو قبل الليل ظافرين بالنصر، ولكن بعد مشقة وكدر، حيث هجموا على العدو آخر النهار بشجاعة كاملة، وبسالة نادرة، وقوة عارمة، هجوماً كان سبباً في هزيمة العدو ودحره وردّ كيده في نحره، فقد منّي في هذه الواقعة بخسارة فادحة في العتاد والذوات أيضاً، حيث هلك فيها من جيشه ماينهاز خمسمائة عندي، فقد

أصيب فيها بكف قوي على وجهه الممتلىء غيظاً، ورجع مطأطئاً رأسه، مذموماً مدحوراً.

وصار ينزعج من العرب في النوم، وقد استشهد فيها من المجاهدين نحو مائة شهيد، وأصيب نحو مائة وخمسين منهم بجراح، وأبلى جميع المجاهدين فيها بلاء حسناً سجله لهم التاريخ بمداد من نور.

وبعد واقعة الشبيط هذه عجز الطليان في مصراتة، وترك الهجوم عليها، وصار يخاف من هجومها عليه، وبقي محصوراً في قصر حمد والمواطين، وليس بينهما إلاّ مسافة عشرة كيلومترات، وفي نقطة الزروق وهي تقع في نصف المسافة التي بين قصر حمد ومدينة المواطين، إلى أن وقع الصلح الأول المسمى بصلح أوشى.

الرابعة: واقعة رأس بوغولة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأنها وقعت في رأس يسمى رأس أبي غولة، جنوبي الزروق، وهو معروف ومشهور عند أهل تلك الجهة.

وسببها أن الطليان اشتد خوفهم من العرب بعد واقعة الرميلة وواقعة يوم الشبيط، حتى صارت دورياتهم، وجماعات جيشهم إذا رأوا دورية أو جماعة من العرب يتجولون اختفوا عنهم بالأشجار والأبنية، أو سقطوا إلى الأرض على بطونهم حتى ينصرف العرب من تلك الجهة.

ونظراً إلى أن الجهة التي تقع غربي قصر حمد وجنوبي الزروق وشرقي المواطين أكثرها سبخة خالية من السكان، لم يجعل المجاهدون فيها خطاً حربياً، وإنما يأتون إليها على سبيل التجول والاستطلاع على حركات العدو لا غير.

فشعر بذلك العدو، وصار يخاف أن يهجم العرب عليه منها، فجعل طلائع ثلاثة تطلع يومياً للمراقبة، طليعة من قصر حمد، وطليعة من الزروق، وطليعة من المواطين، وكل طليعة تسير حتى تصل إلى الرأس المذكور، وكل من يصل إليه ينزل عنده حتى تجتمع عليه الطلائع الثلاثة، فعند ذلك يعطون المعلومات لبعضهم، ويراقبون تحركات العرب في تلك الجهة، ثم ترجع كل طليعة إلى المكان الذي خرجت منه.

فَبَيَّتَهُمْ (محمد هب الريح الرملي)، وصَمَّمَ عَلى الهجوم عليهم

فأخذ معه أربعين رجلاً مسلحين ببنادق الموزر، وأتى بهم في صباح يوم 7 أغسطس سنة 1912م إلى قرب الرأس المذكور، وكمنوا لهم وراء جسر من تراب، يقال له الطابية في لغة ليبيا العرفية، ومكثوا في أمكنتهم حتى جاءت تلك الطلائع، واجتمعت على الرأس المذكور، فعند ذلك أطلقوا عليهم الرصاص، فقتلوا منهم أحد عشر، وفرّ واحد، والتجأ ثلاثة منهم إلى خرابة منزل قديم، فاتقوا به وصاروا يدافعون عن أنفسهم، وعن الأموات الذين قتلوا، إلى أن وصل من فرّ إلى نقطة الزروق، وأخبر بما وقع، فخرجت نجدة من الزروق وجاءت إليهم بسرعة، وانضمت إلى الموجودين في الخرابة، وصارت تقاتل معهم.

وطيّر الخبر إلى مركز المجاهدين في كرزاز، فجاءت نجدة من المجاهدين الاحتياطيين إلى أن وصلت إلى ذلك المكان، وانضمت إلى المجاهدين المقاتلين.

وجاءت إلى الطليان نجدة أخرى من قصر حمد، وانقلب الأمر إلى معركة حامية الوطيس، دامت نحو خمس ساعات، وانتهت قرب الاصفرار بهزيمة الطليان، وفرار من بقي منهم حيًّا إلى نقطة الزروق، ولم يطاردهم المجاهدون، بل اشتغلوا بأخذ بنادق الموتى وأسلابهم، وحملوها معهم، وقفلوا راجعين بالنصر المبين.

ولم يستشهد فيها منهم إلاّ ثمانية، وقيل تسعة، وأصيب ستة عشر منهم بجراح، مع أن الطليان هلك منهم فيها مائتا جندي.

وقد جاءني الطالب محمد أبوزيتونة في زاوية الزروق، حينما كنت فيها مدرساً وصار يحدثني عن أعمال الطليان في تلك الزاوية، وكيف ربطوا فيها خيولهم، وجعلوا خلاويها أكنفة للبول والعذرة،

حتى وصلنا إلى واقعة رأس أبي غولة، فقلت ـ له ـ هل قلت فيها شيئاً من الزجل؟.

فقال:

يَـوْمْ بُـوغُـولَـهْ مَـا أكْبَـرْ هَـوْلَـهْ * فِيـهْ الـرُّومْ صَـارُوا شَـرْمُـولَـهْ

بدليل أنهم عجزوا بعد ذلك اليوم حتى عن الوصول إلى ذلك الرأس، وبقوا محصورين في قصر حمد والزروق والمواطين، إلى أن وقع الصلح بين الترك والطليان في أكتوبر سنة 1912م، وهو المعروف بصلح أوشى أسويسره.

تتمة المرحلة الأولى

قبل أن ينزل الطليان على قصر حمد ـ في هذه المرحلة ـ وجهت مصراتة في شهر أكتوبر سنة 1911م محلتين،

إحداهما: سارت إلى طرابلس، ونزلت في سواني بنيادم التي عُيِّنَتْ في مؤتمر غريان مركزاً عاماً لجميع المجاهدين، وشهد رجالها واقعة شارع الشط، وفيه قضوا على فرقة البنسليري، وشهدوا أيضاً واقعة قصر الهاني.

واستشهد فيها جماعة من رجال مصراتة، منهم رئيس المحلة الأول الحاج أحمد المنقوش.

وشهدوا معارك عين زارة الثلاثة، وفيها جرح رئيس المحلة رمضان السويحلي.

والمحلة الأخرى سارت إلى الخمس، ونزلت في بلدة الجحاوات، وانضمت إلى المجاهدين في الخمس، تحت قياد خليل بك، متصرف الخمس.

وشهدت عدة معارك وقعت هناك بعضها في جبل المرقب، وبعضها في غيره.

وقد تقدم أن بعضهم لم يرجع من طرابلس ومن الخمس إلاّ بعد أن نزل الطليان على قصر حمد بمصراتة.



المرحلة الثانية

وفُتِّحت أبوابها بثورة العرب على الطليان في سرت على بئر القرضابية، التي وقعت يوم الخميس 15 جمادي الثاني سنة 1333 هـ الموافق ليوم 29 أبريل سنة 1915م، وانتهت بجلاء الطليان من مصراتة.

وقد وقعت في هذه المرحلة عدة معارك حربية دامية، اشتهر منها أربع وقائع كبار.

الأولى: واقعة السريويل

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في سبخة من سباخ تورغاء، تسمى - عندهم - بالسريويل، تصغير سروال.

وسببها أن رمضان السويحلي لما رجع من واقعة القرضابية، ومعه مجاهدو مصراتة وتورغاء، بدأ بمحاصرة الطليان الموجودين في تاورغاء، فأراد القضاء عليهم ليحمي ظهره منهم في حصاره لمصراتة، ولما أَتَمَّ حصارهم بالاستيلاء على جميع الجهات التي يخشى خروجهم منها سالمين، أبقى لمحاصرتهم بعض المجاهدين من مصراتة وتورغاء، وتوجه بالباقين إلى مصراتة يوم 15 مايو سنة 1915م، ونزل في جنوبها الشرقي، المسمى بكرزاز، واتخذ الغرفية التي فيه مقراً له، وجعل مركز المجاهدين العام في كرزاز، وشرع في حصار مدينة المواطين بخط قتالي يشبه الهلال، جناحه الغربي في أولاد ابعيو، وجناحه الشرقي في الرويسات الشرقيين، قبالة طريق قصر حمد، وجعل دوريات المراقبة تصل إلى قرية رأس علي، ورأس التوتة، وقطع الطريق بين طليان المدينة، وطليان قصر حمد، وانقطعت المواصلات والإمدادات عن طليان تاورغاء من جميع الجهات.

فتضايقوا من ذلك الحصار، وخرجوا على المجاهدين المحاصرين لهم يوم 20 مايو سنة 1915م، لكن كل من خرج منهم أكله رصاص المجاهدين، فولوا الأدبار، ورجعوا إلى أمكنتهم في الحصار، ثم قرروا الفرار ليلاً، واستأجروا رجلاً من أهالي تاورغاء

يقال له عقيلة بركات، وطلبوا منه أن يخرج بهم من طريق لا يوجد فيها المجاهدون، فتوجه بهم إلى سبخة السريويل، وهي أرض ملحيّة، سطحها أبيض كالثلج، وتحت ذلك السطح أرض طينية رخوة، تغوص بالماشي فوقها بلا قرار، حتى يغيب فيها، ولا يعرفها حق المعرفة إلاّ أبناء تاورغاء.

ولذلك لما قاربوها أمرهم عقيلة المذكور بالإسراع في المشي، وبقى في المؤخرة، وسقط على بطنه في الأرض، فنجا، وكل من دخلها من جيش الطليان غرق فيها وهلك.

ولم ينج إلاّ من رجع من نفس الطريق التي جاءوا منها، ورمى نفسه على المجاهدين، فقبضوا عليه، وأمسكوه أسيراً.

وعددهم اثنان من ثلاثمائة، وقيل من خمسمائة، والباقون غرقوا جميعاً.

ولما وصل خبرهم إلى رمضان السويحلي فرح واستبشر، وأمر المجاهدين الموجودين ـ هناك ـ بمغادرة تاورغاء، والقدوم على مركز المجاهدين العام في كرزاز، والانضمام إليهم.

الثانية: واقعة رأس الطوبة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لوقوعها في نواحي الرأس المذكور.

وسببها أن رمضان السويحلي لما أحكم الحصار على طليان المواطين تضايقوا، وأرادوا فَكَّ الحصار عنهم، وفتح الطريق التي بينهم وبين ميناء قصر حمد، لتنقذهم البواخر البحرية.

ولذلك خرجوا يوم الثلاثاء 11 رجب سنة 1333 هـ الموافق ليوم 25 مايو سنة 1915م، عند فجر ذلك اليوم، من فم باب مدينة المواطين، الموالي لطريق قصر حمد.

وكانوا يريدون بخروجهم الفرار والهرب لميناء قصر حمد، ولكنهم لم ينجوا، بل وقعت بينهم وبين المجاهدين معركة في سبخة قرارة ورأس الطوبة، حامية الوطيس، دامت من الصباح إلى المساء.

هلك فيها من جيش العدو ما لا يقل عن ثلاثمائة جندي، وأصيب فيها من المجاهدين نحو مائتين وخمسين، ما بين شهيد وجريح.

فقد حصل فيها الضرر للطرفين، ولكنها انتهت بفشل الطليان في خطتهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، ولسجن الحصار راجعين.

الثالثة: واقعة سبخة بوفار

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في سبخة غربي قصر حمد، تسمى سبخة أبي فار.

وقد وقعت بعد واقعة رأس الطوبة بثلاثة أيام.

وسببها أن طليان قصر حمد لمّا علموا بأن طليان المواطين فشلوا في واقعة رأس الطوبة، وردهم المجاهدون على أعقابهم خاسرين، عاجزين عن فك الحصار الذي ضرب عليهم، خرجوا من قصر حمد لفك الحصار عن طليان المواطين، وتوغلوا في السير لجهة الجنوب حتى وصلوا سبخة أبي فار.

وهي بالنسبة لقصر حمد تقع في الجنوب الغربي منه، وتبعد عنه قدر خمسة كيلو مترات، وبالنسبة لمدينة المواطين تقع في الجنوبي الشرقي منها، وتبعد عنها قدر خمسة كيلومترات أيضاً.

ومرادهم بذلك التوغل الإتيان من الخلف للمجاهدين المحاصرين للمواطين، ليقضوا عليهم إن سنحت لهم الفرصة للقضاء عليهم، أو ليشغلوهم على الأقل عن محاصرة المواطين، إن لم تسنح لهم الفرصة لذلك، بحيث ينفك الحصار عن طليان المواطين، وتنفتح لهم طريق قصر حمد، ليمروا منها إليه.

ولكن خيَّب الله آمالهم؛ إذ بمجرد خروجهم من قصر حمد اكتشفتهم دوريات العرب.

وطيِّر خبر خروجهم لرمضان السويحلي في الغريفة، فأصدر الأمر للمجاهدين المحاصرين للمواطين بالثبات في مراكزهم

لمحاصرة المواطين، وأمر جميع المجاهـدين الاحتياطيين المـوجودين في كرزاز بالتوجه لملاقاة العدو الخارج من قصر حمد، فساروا إليه.

وشـاع في البلاد خبـر ظهـور الـطليـان من قصـر حمـد، فجـاء للمجـاهـدين كـل من عنـده سـلاح من التجـار، والفـلاحين ورعـاة المـاشية، ولحقهم بـالفؤوس والمناجـل والخناجـر كل من يقـدر على حمل السلاح؛ للذود عن الأرض والعرض.

وقالوا: هذه معركة حياة أو موت.

وصـاروا يسيرون جميعـاً نحو العـدو، ووجـدوا الكبتن (فيكّي) متقدماً أمام جيش الطليان على مسافة ميلين تقريبـاً، فحالـوا بينه وبين جيش الطليان، وأمسكوه أسيراً، والتقوا بجيش الطليـان في سبخة أبي فار، فصدوا ذلك الجيش عن التقدم، وصارت جيوش الطليان تتـدفق على تلك السبخـة كالسيـل العرم وتجمـع جيش المسلمين أمام جيش العدو في خط يشبه الهلال المقابل لمشرق الشمس.

وجاء المهدي السـوداني[1] بمدفعه الخفيف، ونصبه وراء جيش المسلمين؛ لصدّ جيش العدو عن التقدم.

وبقي كـل طرف ينتـظر الأمر، حتى تمت السـاعة الثـالثـة بعـد نصف النهـار، وصارت وجـوه المسلمين قبالـة الظل، ووجـوه الكفـار قبالة الشمس.

فعند ذلك شـرع المهدي ضـابط المدفـع في إطلاق النـار على الكفـار، وتبعه المجـاهدون في إطـلاق الرصـاص بقـوة وعنف، حتى

---

(1) من سودان الخرطوم، جاء متطوعاً للجهاد في ليبيا في قافلة تسمى بالمجّانة؛ لأنهم جاؤوا راكبين على إبل.

صار ينهال من المجاهدين على الكافرين كوابل المطر الغزير، وتوالى على جيش الطليان حَرَّانِ، حر الشمس، وحر الرصاص، الذي صار يحصدهم حصد الهشيم، فلم يفلحوا ولم ينفعوا، وظهرت عليهم علامات الهزيمة من أول وهلة، وبقوا في ارتباك كبير، وأصابهم فزع وذعر، حتى صاروا يلوذون بالفرار، وضباطهم يجبرونهم على الثبات والقرار، إلى تمام الساعة الخامسة. فعند ذلك أيقنوا بأن الدائرة عليهم، ففروا منهزمين، تاركين جميع ما خرجوا به من سلاح، وذخيرة ومُؤنَة.

وركب المجاهدون أقفيتهم، وصاروا يطاردونهم، ويقتلون كل من وصله رصاصهم، حتى صارت جثتهم مبعثرة في تلك السباخ، مثل الغنم المنتشرة في المرعى، من سبخة أبي فار إلى سبخة أبي شعيرة، وهي مسافة لا تقل عن ثلاثة كيلومترات طولاً، وكيلوين عرضاً.

ولذلك كانت هذه الواقعة أكبر الوقائع التي وقعت بمصراتة، في هذه المرحلة الثانية، فقد مني فيها الطليان بهزيمة كانت من أكبر الهزائم، وخسارة كانت من أكبر الخسائر.

وهلك فيها من جيشه ما لا يقل عن ألف جندي، ومع ذلك لم يستشهد فيها من المجاهدين إلاّ نحو ثلاثين شهيداً، وأصيب نحو سبعين منهم بجراح.

ولذلك لما جاءني الطالب محمد أبو زيتونة - في زاوية الزروق - وحدثني عما فعله الطليان فيها، وحدثني عن واقعة رأس أبي غولة، وذكر لي البيت الذي قاله فيها، قدمتُ له الكأس الأول من الشاي -

الذي جعلته لـه ـ فشربـه وانبسطنـا في المجلس، فقلت له: أنت في زمن جهاد الليبيين في الطليان تحمل السلاح؟

فقال: نعم.

فقلت له: هل حضرت شيئاً من الـوقائـع الحربيـة، التي وقعت في مصراتة؟.

فقال: مع سعدون السويحلي حضرت أكثر الوقائع التي وقعت في قصر حمد، ولم تفتني إلاّ واقعة يوم النزول، وأما مـع رمضان فلم نحضر إلاّ واقعة يوم سبخة أبي فار. وحدثني عنها تفصيلاً.

فقلت له: هل قلت فيها شيئاً من الزجل؟

فقال: نعم.

فقلت له: إيه أسمعنيه * إني مشتاق إليه

فقال:

يـوم ظهـر جيش الـطليـان * وجـايبنو فـك الحصـار

ظهـرنـا لـه من كـل مكـان * ولم يبق واحـــدفي دار

مشينـا كيف سيـل الـوديـان * وصلنـا في سبخـة بـوفـار

وجـدنـاهم ملي الغيـطان * اقـرابـه خمس آلاف احمـار

أوين شبحـوا جيش العـربـان * أتى كيف سحـابـة الأمـطار

وقـدامـه بعض الفـرسـان * على خيـل اتغيـر على النـار

بهـا خـازوا (فيكي) القبـطان * وشـدوه اميشـر كـالغـار

خـافـوا في البـر العـريـان * وصـاروا كـالفـار الحفـار

أوين ضـاروا مثـل الـطيحـان * من صهـد الشمس المخـرار

بـدا مـدفـع مهـدي السـودان * ايكـور في روس الكفـار

أوبـارود العـرب الضنـان * يحصـد فيهم كـالمنشـار

سَحقْ مِنْهُمْ نصْف الْفيـــــــرانْ * وبـــــاقيهمْ فـــرُّوا للْغــــاز

أوينْ انهــــــاز الشْيشلْيــــــانْ * زدْ نــــالـــهْ صفْعــــاتْ اكْبــــاز

زِدْنـــا هـــالْـــهْ بـــالْمليـــانْ * بيْشْ ايخبْـــزْ بعْــــدْ انْهــــاز

إلى انْ صــــارْتْ تلْك الْغيــطانْ * مــــلايــــا بـــاجْنْــتْ الْكُفْـــاز

أُوِيلْنـــــا اشْــــلاخ وجْبْخــــانْ * غنيمـــــهْ مـــا اتْكمّلْهـــا نـــاز

ولما وصل إلى هنا، قلت له من بحره وقافيته :

يكْفِي هــــــذا لاتْهـــــانْ * وتسْلمْ من تعْـــذيبْ النْــــاز

كــلامْــكْ في حــزْب الـطّلْيــانْ * اقْـــوى من كُـــور الـــطّيْـــاز

فعند ذلك زاد في الانبساط، وذكر لي أبياتاً أُخر تتعلق بواقعة يوم السبب، سيأتي ذكرها في محلها، إن شاء الله تعالى.

الرابعة: واقعة جرف المقاصبة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن جُلَّ الواقعة وقع في الجرف المذكور.

وسببها أن طليان المواطين لما علموا بواقعة سبخة أبي فار، وأن طليان قصر حمد قد فشلوا فيها فشلاً ذريعاً، وهلكوا فيها هلاكاً فظيعاً في العتاد والذوات، ويئسوا من خروجهم مرة أخرى لإنقاذهم، جازفوا بأنفسهم مجازفة يائسة، فقرروا الهجوم على المجاهدين المحاصرين لطريق قصر حمد في الجناح الشرقي؛ لفك الحصار عنهم.

فظهروا في فجر يوم 26 رجب سنة 1333 هـ الموافق ليوم 11 يونيو سنة 1915م، من فم باب الطريق التاورغية، وبدؤوا بالهجوم على جرف المقاصبة؛ لاعتقادهم أنه أقوى مراكز المجاهدين في خط القتال، وأنهم إذا احتلوه واستولوا عليه، يسهل عليهم القضاء على المجاهدين الموجودين في الجناح الشرقي المحاصرين لطريق قصر حمد، وتنفتح لهم تلك الطريق؛ ليفروا منها لقصر حمد.

ولذلك هاجموه بقوة هائلة، قبل انتشار الضوء، واشتبكوا مع المجاهدين الموجودين فيه، ووقع بينهم قتال عنيف، هلك فيه من الطليان عدد كبير، ولكنهم تكاثروا حتى عجز المجاهدون في الجرف عن صدهم، فتقدموا حتى سقطوا على المجاهدين فيه.

ووقعت بين الطرفين ملحمة قتال بالسلاح الأبيض، ولكثرة عدد الطليان رجحت كفتهم، واحتلوا الجرف المذكور.

وانسحب منه من بقي حياً من المجاهدين، وصاروا يقاتلون الطليان من وراء الجدران، وأشجار البساتين، الموجودة بجوار الجرف المذكور.

ثم انتشر جيش الطليان في سواني الدرادفة، وامتدوا لجهة الرويسات، وأرادوا الهجوم على المجاهدين في الجناح الشرقي المقابل لطريق قصر حمد.

ولكن كل من قرب من تلك الجهة أكله رصاص المجاهدين.

وطيِّر الخبر لمركز المجاهدين العام في كرزاز، فجاءت من المجاهدين الإحتياطيين نجدة كبيرة، وعززت جانب المجاهدين المنسحبين من الجرف.

وبقي القتال مستمراً بين الطرفين بصفة متقطعة، إلى أن تأخر النهار، وصار جيش الطليان في غاية التعب، والأكدار من حر القتال، وحر الشمس.

ووصلت قدر العصر نجدة أخرى، جاءت من كرزاز للمجاهدين، ومعها الأمر من رمضان السويحلي بالهجوم على الجرف، وفكه من الطليان، وطردهم منه قبل الليل.

فعند ذلك نَظُم المجاهدون أنفسهم، وفاجؤوا الطليان بالهجوم بغتة بقوة، وعنف، وسرعة تقدم، فقذفت في قلوب الذين كفروا الرعب، وأرهبتهم وأدهشتهم، حتى ارتبكوا، وفشلوا في القتال، إلى أن غَمَّ عليهم المجاهدون، واختلطوا بهم، وقاتلوهم بالسلاح الأبيض، فقضوا على كل من وجدوه في الجرف، وهزموا كل من وجدوه خارجه، هزيمة منكرة، حتى انهاروا انهياراً فظيعاً، وفروا فراراً

بشعاً، يشبه فرار الغنم الشاردة أمام الذئاب العادية.

وركب المجاهدون أقفيتهم، وصاروا يطاردونهم، ويضربونهم بـالـرصـاص، حتى أدخلوهم للمـدينـة، كـادخـال الغنم للزريبـة، مذعورين، مقهورين، ولسجن الحصار خاضعين.

فهذه الواقعة من جملة الوقائع التي حصل فيها الضرر للطرفين، فقد هلك فيها من جيش الطليان مالايقل عن أربعمائة جندي؛ لكون القتل استحر فيهم أول النهار وآخره.

وأما المجاهدون فلم يستحر فيهم القتل إلّا أول النهار، عند هجوم الطليان عليهم في الجرف لاغير، ولذلك لم يصب فيها منهم إلّا نحو مائة وخمسين، بين شهيد وجريح.

ومع ذلك فقد انتهت بفشل الطليان في خطتهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، محصورين، مسجونين في مدينة المواطين، كحصر وسجن الدجاج في القفص.

وبانتهاء هذه المعركة انتهت جميع محاولات طليان المدينة، وعجزوا عن فك الحصار عنهم كلياً، ولم يقدروا على أي فعل من الأفعال.

جلاء الطليان عن مصراتة

قد دام حصار العرب للطليان في مصراتة، نحو خمسة وسبعين يوماً، فشلت فيه جمع المحاولات، التي بذلها الطليان لفك الحصار عنهم.

ولذلك تأكد العدو ـ في طرابلس ـ أنه لا ينجي جنوده المحصورين في مصراتة سوى المجازفة اليائسة، لإنقاذ حياة الباقين منهم، فبعث لهم بواخر رست بميناء قصر حمد، وأعطتهم الاشارات بالخروج الفوري من المواطين، مهما كلفهم الخروج من ثمن، واستجابة لهذا الأمر جهزوا أنفسهم يوم الأربعاء الموافق 23/ من رمضان سنة 1333 هـ. الموافق ليوم 4/ من أغسطس سنة 1915م، وخرجوا من مدينة المواطين، مستترين بظلام الليل، قاصدين سفنهم بالميناء المذكور في ليلة الخميس 24/ رمضان سنة 1333 هـ، 5/ أغسطس سنة 1915م.

وقد تركوا الخروج من طريق قصر حمد ـ خوفاً من المجاهدين في الجناح الشرقي ـ وتسللوا مع طريق يذُر، ولم يشرعوا في التسلل إلاّ بعد نصف الليل، وكانت طريقاً وعرة، صعبة السلوك، لا يمكن حمل شيء ثقيل فيها، ولا السلوك معها إلاّ بمشقة، ولذلك تركها المجاهدون من غير حصار.

وإنما ارتكب الطليان مشقة سلوكها؛ لشدة خوفهم من المجاهدين، ولأنهم خرجوا بمجرد أيديهم وأرجلهم، ولم ينقلوا من المدينة شيئاً معهم.

ومع ذلك لم ينجوا بل اصطدموا بمجموعة من المجاهدين، يتجولون هناك، واشتبكوا معهم في معركة دامت عدة ساعات، وبعد قتال عنيف، شقوا لأنفسهم طريقاً إلى قصر حمد، وكانت البواخر في انتظارهم، فحملتهم إلى طرابلس، وتركوا مصراتة بكل مافيها، من معـدات الحرب والأرزاق، وكـان شيئاً لا يحصى كثرة، ولا سيما البنادق، والرشاشات، وأجهزة المواصلات.

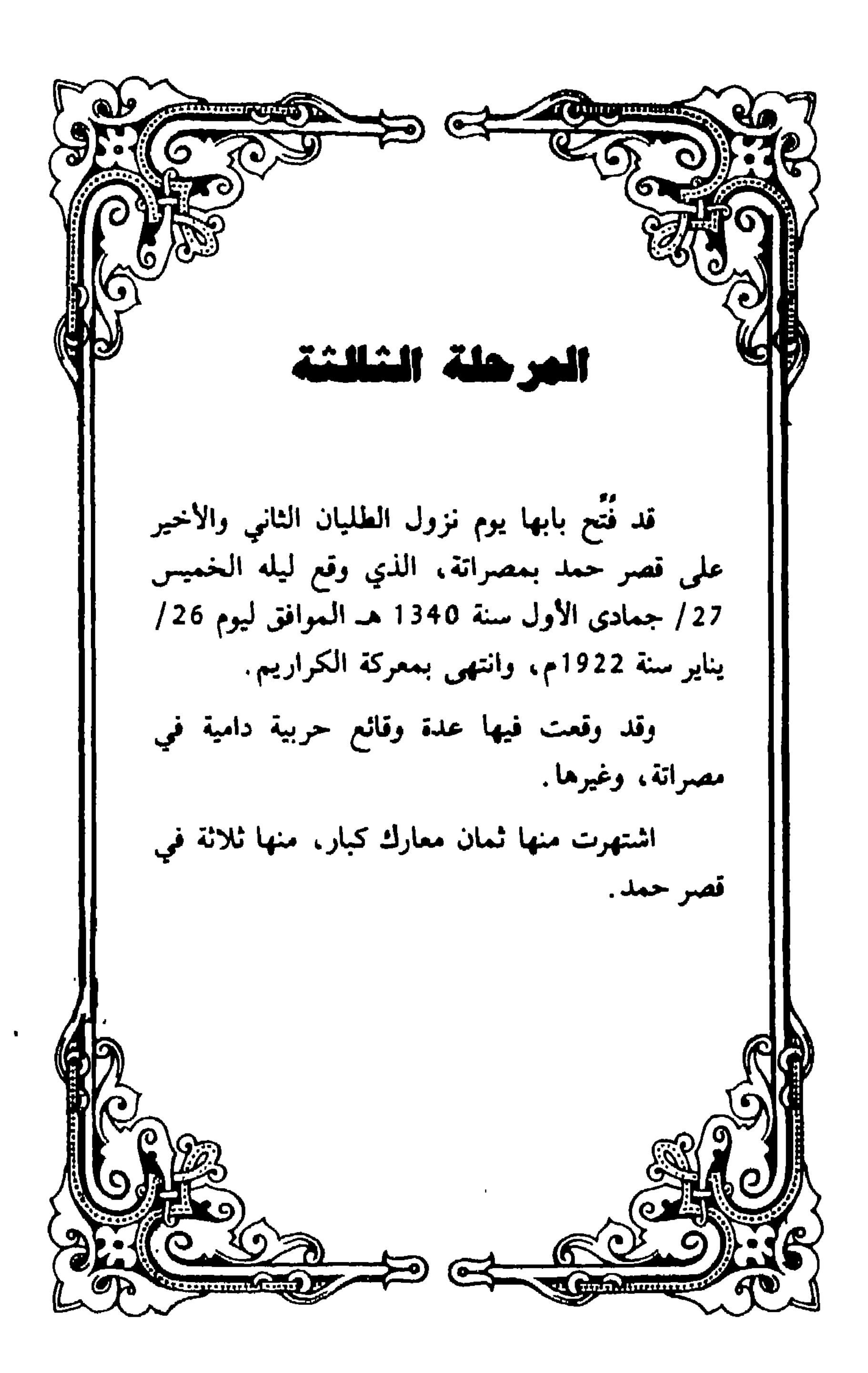
تتمة المرحلة الثانية

لم يقتصر جهاد مصراتة ـ في هذه المرحلة ـ على الوقائع الأربعة، التي تقدم ذكرها، بل قبل حصار الطليان في مصراتة، شاركت محلة مصـراتـة في ثـورة العـرب على الـطليـان في معـركـة القرضابية.

ولا يخفى ماقامت به مصراتة من الدور الذي كان سبباً في هزيمة الطليان في تلك المعركة.

وبعد جلاء الطليان عن مصراتة، شاركت محلة مصراتة في محاربة الطليان في الزاوية الغربية، تحت قيادة اسحاق باشا، قبل إعلان الجمهورية الطرابليسية، وتحت قيادة عبد القادر الغناي، بعد إعلان الجمهورية المذكورة.

بل الفرقة المصراتية التي يرأسها عبد العاطي الجرم ـ بعد صلحه مع رمضان السويحلي ـ لم ترجع من الزاوية الغربية، إلاّ بعد نزول الطليان الثاني والأخير على قصر حمد بمصراتة سنة 1922م.



المرحلة الثالثة

قد فُتّح بابها يوم نزول الطليان الثاني والأخير على قصر حمد بمصراتة، الذي وقع ليله الخميس 27/ جمادى الأول سنة 1340 هـ الموافق ليوم 26/ يناير سنة 1922م، وانتهى بمعركة الكراريم.

وقد وقعت فيها عدة وقائع حربية دامية في مصراتة، وغيرها.

اشتهرت منها ثمان معارك كبار، منها ثلاثة في قصر حمد.

الأولى: واقعة يوم النزول

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت يوم نزول الطليان على قصر حمد.

وسببها أن إيطاليا لما ندمت على صلح سواني بنيادم، وأرادت نقضه، عزلت الوالي الذي حضر الصلح المذكور، وعينت بدله (الكونت فولبي) والياً على طرابلس، وأمرته بتغيير السياسة في طـرابلس، وبـالعمـل على نقض الصلح المـذكـور، فصـار يتحيَّن الفرص، ويلتمس الأسباب التي يبنى عليها نقض الصلح المذكور.

فسمع أن هيئة الإصلاح المركزية ـ في غريان ـ وجهت وفداً لسرت، للتفاوض مع البرقاويين في الوحدة بين طرابلس وبرقة، في أوائل جمادي الأول سنة 1340 هـ الموافق لأوائل يناير سنة 1922م، فاغتاظ من ذلك العمل؛ لأنه يكره الوحدة بين طرابلس وبرقة، وصمم على إعلان نقض الصلح بغزو مصراتة ـ التي هي همزة الوصل بين طرابلس وبرقة ـ وأحاط ذلك بسرية تامة، فقد قال بنفسه ـ في أحد كتُبه ـ «قررنا في السر الاستيلاء على قصر حمد، وعزمنا على القيام بالأعمال الحربية في يوم 26/ يناير سنة 1922م، ويرجع الفضل في نجاح الحملة إلى سرية التجهيز، وشدة التكتم في المفاجأة، حتى إن العرب لم يشعروا بنزول جيشنا إلاّ بعد ثلاث ساعات من نزوله، حتى وجدوا أنفسهم أمام مدافعنا ورشاشاتنا» انتهى كلامه مترجماً.

ولكن بمجرد نزولهم في الأرض، وصل خبره للحكومة المحلية

في المواطنين، وانتشر وسرى في البلاد بسرعة، تشبه سرعة التيار الكهربائي.

فجاء المجاهدون إلى قصر حمد من كل حدب وصوب

ونظراً إلى أن أحمد السويحلي - الذي هو رئيس البلاد وقائد جيشها العام - كان غائباً مع أعضاء مؤتمر الوحدة، بين برقة وطرابلس في سرت، فقد حصلت حيرة للمجاهدين في أول الأمر؛ لعدم وجود مسؤول في الجبهة، يتولى قيادتها.

ولكن لم تطل تلك الحيرة، فقد تقدم (الحاج علي الأسطى الرملي) لسد ذلك الفراغ - مؤقتاً - وحسم الموقف بشجاعة وحماس، وقال: «ماذا ترجون لهم» وأطلق عليهم الرصاص، من بندقيته، عند تمام الساعة العاشرة صباحاً، من ذلك اليوم، واندفع معه المجاهدون مباغتين العدو بالهجوم العنيف، والنيران الكثيفة، قبل أن يتمكن من حفر خنادقه، ومباشرة تحصيناته.

والتحم الطرفان بصراع دموي حاد، وحمى وطيس المعركة، وشعر العدو بسطوة المجاهدين على جنوده، في ناحية قصر حمد.

فوجه الأسطول إلى ناحية أبي شعيفة، وأنزل فيه قسماً من القوة، تحت حماية نيران مدافعه.

واقتحم المجاهدون المعركة في جرءة، كانوا فيها عرضة لنيران العدو.

وتدافع الفريقان مداً وجزراً، حتى اضطر العدو آخر النهار إلى التراجع لميناء نزوله مذعوراً.

وقد كانت ملحمة هائلة استشهد فيها - من المجاهدين - نحو

ثمانين شهيداً، وأصيب نحو سبعين منهم بجراح.

وهلك فيها من جيش العدو ما لا يقل عن مائتي جندي.

وفي اليوم الثاني استمر اطلاق النار من المجاهدين على جيش العدو، بصفة متقطعة؛ لمنعه من الحركة، ومن مراقبة أعمال المجاهدين، حتى تمكن المجاهدون من ترتيب خط القتال، ومن تحصين مراكزهم فيه.

وفي اليوم الثالث تمَكَّن الجاويش (عبد الله الزقل) وفرقته، من الوصول إلى منازل الحريبات، والتمركز فيها، وصار يهجم على جيش الطليان بالقنابل اليدوية ـ صباحاً ومساء ـ حتى أجلاهم من الجهة التي بين منازل الحريبات والبحر.

وانقطع جناح العدو الشرقي عن الصدر، وصار القسم الذي أنزله العدو في الجناح الشرقي، جهة أبي شعيفة، شبه المحصور.

وفي اليوم الرابع ـ وهو 29/ من يناير ـ جاء الطليان بأورطة[1] من المشاة، ووحدة من المدفعية الثقيلة؛ لتخفيف ضغط المجاهدين على الجناح الأيسر الشرقي من جيشه.

---

(1) أي فرقة من الجيش.

الثانية: واقعة حيشان الحريبات

وقد عبَّر عنها الزاوي - في جهاد الأبطال - بواقعة منازل الدّكيران، وابن مسعود افشيكة - في تاريخ رمضان - بواقعة حيشان الديكران، ومن الناس من يسميها بواقعة قوز احريب، ومراده بالقوز جميع الرِّمال المحيطة بتلك المنازل، ومنهم من يسميها بواقعة يوم السبت الأول، ومنهم من يسميها بواقعة يوم الحبش والعسكر.

وأنسب الأسماء الستة أوَّلها؛ لأن الأمور كثيراً ما تسمى بركنها الأهم، كالدين النصيحة، والحج عرفة، والتوبة الندم، وماأشبه ذلك؛ ولأن بعض الزجالين قد عبَّر به حين قال - في هذه الواقعة:

فِي جَيْشْ بُو طَرَفْ خارِتِ ٱلأفْكارْ • حين انْهزَمْ لَيْلَةْ جيشَانْ الْحَرِيبات
مَاتَنْفَعْ الْكَثْرَةْ وَبَيْنْ صَفْهُمْ يِنْهارْ • وواجَدْ انْدرُبْ جيسَرْ مِن مِيَّات
وَلَوْلاَ عَساكِرْ الْفَارِسِ المغْوارْ • إللِّي رَدُّوا الْعَدُوْ في هَجْمَةِ الْغَفْلاَتْ[*]
ضَاعَتْ ابْلاَدِي ابْضِيطَةِ الْوَبْار • وَخسْرَتْ اخْسَارَةْ قِمَارْ في حانَاتْ

وسببها أن عبد الله الزقل قد برع في الضرب بالقنابل اليدوية، وبسبب تلك البراعة ترقى إلى رتبة جاويش في ثلاثة أيام، وقد تقدم أنه تمكن في اليوم الثاني من الوصول إلى منازل الحريبات، وتمركز فيها هو ومجموعة من الفدائيين، وصار يهجم على تجمعات العدو أول الليل وآخره، ويقذف عليهم القنابل اليدوية، فينال منهم، ويرجع سالماً، وضيَّق عليهم تضييقاً شديداً، حتى أرهبهم، وقذف في

(*) الفارس المغوار: هو سعدون السويحلي.

قلوبهم الـرعب، وصـاروا يتـرصـدون لـه، فلم يفلحـوا، فـأرسلوا للمجاهدين الموجودين في الجناح الشرقي جاسوساً من أهالي قصر حمد، جاءهم وأظهر أنه كان غائباً، وأنه لما سمع بنزول الطليان على قصر حمد، جاء لإنقاذ أسرته من ضرر الطليان، فوجدهم من جملة من قتلهم الطليان، في الليلة التي بعد واقعة يوم النزول، أخذاً بثأر جنوده، الذين قتلوا في ذلك اليوم، وأنه حاقد على الطليان، ويريد الانتقام منهم، والجهاد فيهم مع المجاهدين، فعطفوا عليه لذلك، وبقي معهم حتى علم أن الذي يهجم بالقنابل اليدوية هو عبد الله الزقل، وأنه من الفدائيين، الماكثين في حيشان الحريبات، وأن الإشارة السرية بين المجاهدين ـ في تلك الليلة ـ هي لفظة (فتحى)، ومكث معهم إلى الساعة الواحدة بعد نصف الليل، ثم خنس وتغيب عنهم.

وانطلت على المجاهدين حيلته، فلم يفطنوا لها، ولم يأخذوا حذرهم في تلك الليلة.

وجاء للطليان، وأخبرهم بكل مارآه وبيته، وأعطاهم الإشارة السـريـة لتلك الليلة، وهي ليلة السبت المـوافق 4/ فبـرايـر سنة 1922م.

فقرروا الهجوم على المجاهدين في تلك الليلة، وخرجت فرقة كبيرة من الأحباش في السدس الأخير من الليلة المذكورة، وجاءت أولاً إلى منازل الحريبات، ولما أحسَّ بها العسَّاس قال: (إش كون)، قالوا ـ له ـ (فتحى) فلم يطلق عليهم الرصاص ـ للإنذار ـ حتى وصلوا إليه، وقتلوه بالسلاح الأبيض، ودخلوا على المجاهدين بغتة في تلك المنازل، وهم غافلون، فمنهم من هو راقد بالنوم، ومنهم من هو مستيقظ، لكنه غير مستعد للقتال.

وتـلاحمـوا معهم بـالسـلاح الأبيض، وأمكنتهم الفـرصـة في

المجاهدين، حتى قضوا عليهم، ولم ينج منهم إلّا من فرَّ إلى أعلى السطوح، ورمى بنفسه خارجها فراراً[1].

ثم لحقتهم فرقة أخرى مع طلوع الفجر، حتى تكاثروا كثرة هائلة.

وتقدموا إلى خط القتال في الجناح الشرقي، وهجموا على المجاهدين في مكانهم، وهم غافلون، وسطوا عليهم بالسلاح الأبيض ـ أيضاً ـ فأثروا فيهم تأثيراً قوياً، وانهزم كثير من المجاهدين أمامهم.

ولعبوا في الجناح الشرقي لعبة فظيعة مريعة، حتى أصبح كل من فيه من المجاهدين بين قتيل ومهزوم.

ثم شرعوا في مطاردة المنهزمين، حتى دخلوا السبخة، التي تقع غربي أبي شعيفة، عند الساعة السابعة صباحاً، وتوغلوا فيها، ومرادهم بذلك التوغل، كسر ظهور المجاهدين في الجناح الغربي، وفي القلب.

ولكن وصل بسرعة خبر هجومهم إلى سعدون السويحلي ـ في منازل الملائطة ـ فاستفز العساكر الموجودين معه ـ هناك ـ بسرعة، ولاقى الحبش، وطلع عليهم في تلك السبخة، قبل طلوع الشمس، وأمطرهم هو وعساكره بوابل من الرصاص، حتى قتلوا من الأحباش ـ في تلك السبخة ـ مثل ماقتلوا من المجاهدين في تلك الليلة.

فارتعب الأحباش من هذا الجيش، الذي طلع عليهم، وباغتهم من حيث لا يشعرون، فولوا الأدبار.

---

(1) وهو رجل واحد يقال له الصادق بن عامر.

وصار سعدون وجيشه يضربون وجوههم، وأدبارهم برصاص، يحصدهم حصد الهشيم، حتى ردوهم على أعقابهم، ورجعوا إلى معاقلهم على شاطىء البحر مهزومين، عند الساعة التاسعة صباحاً.

وقد استشهد ـ في تلك الليلة ـ من المجاهدين نحو مائة وخمسين شهيداً، مع أن الأحباش لم يمت فيها منهم إلاّ نحو العشرين، ولكن في الصباح هلك منهم ما لا يقل عن المائتين.

ولولا سعدون وعساكره ـ في الصباح ـ لكسر الأحباش ظهور المجاهدين في الجناح الغربي، وفي القلب، وهجم عليهم العدو من الوجه، واتسع الخرق على الراقع، وضاعت البلاد وحماتها.

ولذلك قال السيد أحمد بَلْتُو ـ في أبيات زجله المتقدمة ـ

وَلَوْلاَ عَسَاكِرُ الْفَارِسِ الْمِغْوارْ * اللِّي رَدُّوا الْعَدُو في هَجْمَةِ الْغَفْلاَتْ

ضَاعَتْ ابْلاَدِي ابْضِيعَةِ الْوَبَّار * وَخِسْرِتْ الْخَسَارَةْ قُمَارْ في خانات

ولذلك قال سعدون: «من هذا اليوم فصاعداً، لابد أن يكون مع كل مجموعة من المجاهدين فرد من أفراد العسكر يرأسهم».

الثالثة: واقعة يوم السبت

لما رجع المجاهدون ـ بعد واقعة حيشان الحربيات ـ إلى مراكزهم في الجناح الشرقي، ضيقوا على الطليان تضييقاً قوياً، وقطعوا خطوط مواصلاته التي بين الميناء وأبي شعيفة.

وأصبح مركز الطليان ـ في أبي شعيفة ـ مهدداً، وخشي من العرب أن يهجموا على مراكزه في أبي شعيفة.

فحماية لجنده ـ في أبي شعيفة ـ منهم، أخذت قنابل أسطوله تواصل قصفها، فوق رؤوس المجاهدين، ولكنها لم تفلح في إبعادهم عن هدفهم.

قال ابن مسعود افشيكة ـ في تاريخ رمضان ـ «ولما يئس العدو من إبعادهم، وسئم من بقائه حبيساً بالميناء، وماحولها، أراد أن ينهي موقفه ـ في قصر حمد ـ مع العرب مرة واحدة، فأحضر جنداً كثيفاً، ومعدات حربية ضخمة، وأرسى تجاه الشاطىء بعضاً من قطع أسطوله.

وكانت خطته من ذلك أن يسحق بها الذين أمامه من قوات سعدون، ثم يمضي بعدهم لاحتلال المواطنين.

لكن القائد سعدون، وأركان حربه، كانوا ـ بعد حادثة 4 /فبراير ـ على حذر ويقظة منه ليلاً ونهاراً، وكانوا مما يصلهم عن أخباره، ومما يرون من تحركاته النشطة، قد تأكدوا أنه يعمل لاصطدام خطير بهم.

فإزاء هذه الطوارىء لم يتوانوا في الاستعدادات الكبيرة للقائه،

بجلب الأسلحة، واستدعاء النجدات من مصراتة وغيرها، وتوفير المؤن، واخلاء تلك المنطقة من غير المحاربين.

وفي فجر يوم السبت 13/ جمادى الثاني سنة 1340 هـ الموافق ليوم 11/ فبراير سنة 1922م، أي بعد سبعة عشر يوماً، من تاريخ النزول للحملة، التي نزلت في (26 يناير)، تحقق ما منه الحذر برؤية البصر.

إذ في يوم السبت المذكور - عند طلوع الفجر - خرج الجند الإيطالي من معاقله في قصر حمد، وهو منتشر في الجبهة كالجراد، وأخذ يزحف غرباً، محاذياً طريق المواطين، متجهاً إلى خطوط المجاهدين الرئيسية، تعززه وتحميه قنابل الأسطول المشتعلة المنهالة على المقاومين البواسل.

واندفع سعدون واخوانه الأشاوس نحو العدو، هاجمين عليه بالتكبير، والأراجيز الحماسية، التي منها:

«يَامُوزِرْ رِنْ * أَوْقَاتِكْ جِنْ»

في صراع هائل، قريب الشبه بيوم الرميلة.

وكان مما فاجأهم به من الأسلحة الآلية الفتاكة ثلاث سيارات مصفحة بمدافعها.

وحمي وطيس المعركة، بدوي القنابل، وأزيز البنادق، ودخان البارود، والحرائق، وتساقطت الأنفس قتلى وجرحى.

وكان سعدون بجولاته - بين الصفوف المجاهدة - يشجع على الثبات، والاقدام في سبيل الله والوطن، وَيُلْقِي لهم ما يلزم من الأوامر والإرشادات.

وقد بذل المجاهدون من البسالة الفدائية، لدرجة أنهم أسَرُوا من العدو إحدى مصفحاته، ولاذت الأخريان بالفرار متقهقرة.

وارتاع الطليان من تهافت العرب في اقباهم على الموت، وعدم مبالاتهم بالحياة، حتى ارتعبوا، وأخذوا مع العصر يولون وجوههم فارين نحو حصونهم بقصر حمد، متكبدين خسائر في الأرواح والأسلحة لا تحصى عدداً. انتهى كلام ابن مسعود[1].

وقد قدر ما هلك منهم - في ذلك اليوم - بما لا يقل عن سبعمائة جندي، منهم ثلاثة ضباط كبار.

واستشهد - في ذلك اليوم - من المجاهدين نحو مائتين وستين شهيداً، وأصيب نحو مائة منهم بجراح.

وممن تشرف بالشهادة - في ذلك اليوم - البطل (عبد العاطي الجرم)، أحد رؤساء المجاهدين، وهو من جماعة الحسون، والسيد (عبد الله الزدام)، أحد ضباط المدافع، وهو من جماعة زليطن، والشيخ (صالح الدلفاق)، أحد رجال العلم، وهو من جماعة مصراتة.

وغاية ماتوصل إليه الطليان من نتائج هذه المعركة، أنه تمكن من تثبيت أقدام جيشه على ميناء قصر حمد، بعد أن كانت غير ثابته، راضياً بالبقاء في الميناء، تاركاً لاحتلال المواطين؛ لعجزه عنه بعد واقعة يوم السبب.

ولذلك قال الزجال محمد أبوزيتونة - في الأبيات التي وعدنا بذكرها هنا:

(1) ص 266 - 267 - 268.

يوم سَبْتِ الدَّبَّابَاتْ * لَوى الرُّومي عَشْرا خزامَاتْ
وَجَابْ مَاعِنْدَهْ مِن قُوَّاتْ * وَقَدّمْ مِن جَيْشَهْ المِعْزَاتْ[1]
وَجَا يَفْحَجْ كَافْجِيجْ عَوِينْ * يَبْغى يَحْتَلْ المَوَاطِينْ

* * *

لَكِن قَدْ حَصَّلْ نَطْحَاتْ * وحصّلْهِنْ أقْوَى دَقَّاتْ
دَهَشْ مِنْهِنْ أقْوَى الدَّهْشَاتْ * وَوَلّى القُرُونَهْ مَكْسُورَاتْ
وَصَارَنْ القُرُونَهْ مِن طِينْ * وِينْ قَصَدْ أخْذْ المَوَاطِينْ

ملحق لمعارك قصر حمد

لما فشل الطليان في واقعة يوم السبت، وولوا الأدبار، ورجعوا إلى معاقلهم في قصر حمد، مذمومين مدحورين، وعرفوا أنفسهم أنهم عاجزون عن احتلال المواطين.

تترسوا بميناء قصر حمد، خوفاً أن ينسفهم تيار العرب الجارف، ويرميهم في البحر، وبقوا على ميناء قصر حمد، محصورين في مسافة لا تزيد عن اثني كيلو متراً طولاً، وكيلوا واحد متراً عرضاً، مدة عام كامل، من فبراير سنة 1922م إلى فبراير سنة 1923م.

ولشدة خوفهم من العرب، تركوا الهجوم على المجاهدين، خوفاً من هجوم العرب عليهم في الميناء.

ووقف المجاهدون أمامهم، يمنعونهم من جميع الأعمال، نهاراً

(1) المراد بالمعزات: الأحباش لشبههم بالمعز في سواد اللون.

وليلاً، حتى من الضوء والنار، وصار كل من يشعل منهم ناراً أو ضوءاً، ينهال عليه رصاص المجاهدين.

واستمرت الأعمال الفدائية من الفدائيين تنفذ فيهم كل ليلة، قتلاً وتخريباً، حتى صار القتل فيهم من المجاهدين والفدائيين مستمراً دائماً وأبداً، ولا يسلمون منهم إلاّ في الأيام القليلة النادرة.

ونفذ فيهم الفدائيون مايزيد على ثلاثمائية عملية فدائية، ومع ذلك كله لم يبّدُوا أي تحرك، خوفاً من هجوم العرب عليهم. ولم يقدروا على فعل شيء أصلاً، حتى احتل العدو جميع الجهات الغربية، التي غربي طرابلس.

ووجه جيوشه الثلاثة الضخمة؛ لاحتلال الجهات الشرقية، التي شرقي طرابلس، جيش بقيادة غرزياني، وجيشٌ بقيادة بنتساري، وجيش المرتزقة الأوباش بقيادة يوسف خربيش.

فهذه الجيوش الثلاثة هي التي واصلت زحفها حتى احتلت مصراتة، وفكّت الحصار عن طليان قصر حمد.

وهنا انتهى الكلام على مايتعلق بالجهاد، الذي وقع من أبناء مصراتة في قصر حمد.

الرابعة: واقعة السلحيبة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم، لأنها وقعت في سفح جبل بين قماطة ومسلاتة، يسمى جبل السلحيبة، وهو من جملة جبال النقازة، إلّا أنه بعيد عن الطريق الساحلية.

وسببها أن العدو لمّا عَبّأ جيوشه الثلاثة الضخمة، التي قدرت بثلاثين ألفاً ـ كما قال الزاوي في جهاد الأبطال ـ ووجهها لاحتلال المناطق الشرقية، وصلت أنباؤها لسعدون في مصراتة.

فصمم على التوجه لملاقاتهم، ومحاربتهم ـ هناك ـ قبل أن يصلوا قماطة ومسلاتة.

وشرع في جمع ما استطاع جمعه من المجاهدين البواسل، والشبان المدربين على حمل السلاح، الذين يتحلون بأوصاف الشجاعة والتضحية، وضم إليهم نصف القوة المرابطة بقصر حمد، واستجلب من مخزن الذخائر ـ بسيدي عبد الرءوف ـ البعض من المدافع والرشاشات، وغيرها من اللوازم الحربية.

وبينما هو يجهز نفسه لهذا اللقاء العصيب، إذ خاطبه (الشيخ علي بن رحاب)، قائممقام قماطة ـ هاتفياً ـ وأبلغه بأن جيوش العدو وصلت القره بوللي المجاور لقماطة.

فأناب عنه (الحاج علي المنقوش)، في قيادة جبهة قصر حمد، وتوجه هو بالقوة التي جمعها فوراً، وصار يسير لجهة مسلاتة وقماطة، سيراً سريعاً.

فوصل إلى حدود مسلاتة الشرقية أول فبراير سنة 1923م، أي بعد احتلال قماطة بيوم واحد.

ولما وصل أخبر بأن قماطة احتلها جيش العدو بالأمس، بعد معركة طاحنة، وقعت بين جيش العدو، وأبناء قماطة، في موقع يقال له رأس غزال.

فحزن هو ورفقاؤه لذلك، وأصابهم كدر عظيم؛ لعدم اشتراكهم ونجدتهم، في هذا الصراع الباسل.

وكان السبب في تأخر سعدون عن الوصول لقماطة - قبل القتال أو أثناءه - يرجع إلى أنه لم ينذر بمجيء العدو، في وقت متسع.

ثم جاءت إليه - بعد ساعات قليلة - أخبار أخرى، تفيد أنّ جيش العدو - الذي يقوده بنتساري - قد خرج من قماطة، يريد احتلال مسلاتة من الشمال الشرقي، وجيشه الثاني - الذي يقوده غرسياني - قد خرج من ترهونة الغربية، يريد احتلال مسلاتة من الجنوب الغربي.

فعند ذلك قام مسرعاً، ووجه مجاهدي مسلاتة للدفاع عنها من جهة الغرب، قبل أن يصل إليها غرسياني.

ثم تقدم هو بجميع قواته إلى النقازة أو السلحية، وكَمُنَ فيها بوادٍ قرب مبيت العدو في طريقه لمسلاتة.

وعند طلوع الفجر باغت سعدون بقواته جيوش العدو، صابًا عليهم نيران أسلحته، كالمطر الوابل، فارتبك العدو من تأثير الهجوم المباغت عليه، ولم يستطع أن يتمالك جاشه. إلاّ بعد فترة ساعات، إذ توهم - بذلك - أن العرب المتصدين له أفواج كثيرة، لا أنهم مئات دون الألف.

ولكن الواحد منهم ـ في اقدامه، وتضحيته بنفسه في سبيل وطنه ـ يعد بعشرة من جيش العدو.

ولهذه التأثيرات الفكرية عليه، ارتدَّ عن موقفه إلى الوراء، تاركاً خلفه ـ من العجلة ـ طائفة من الغنائم المتنوعة.

اغتنمها منه المجاهدون.

ولما فطن إلى تفوقه العسكري الضخم عن رجال سعدون، وَلَّى إليهم بهجوم كثيف غائظ.

وناضلوه ببسالة إلى أن استشهد أغلبهم.

ومع ذلك استطاع سعدون وأتباعه أن يحبسوا جيش العدو عن التقدم، حتى تمكنت مسلاتة من اخلاء البلاد، ونقل الحريم والأطفال إلى البرية، البعيدة عن جيش العدو.

ولما أخبر باخلاء البلاد من السكان، انسحب من النقازة إلى مكان جنوب مسلاتة، يسمى القطارة، واتخذها مركزاً لقيادته.

واحتلت مسلاتة يوم 4/ فبراير سنة 1923م.

وانضم إلى سعدون ـ في القطارة ـ جماعة مسلاتة، وشقران، بعد أن أجلوا عائلاتهم عن طريق العدو، وانضم إليه جماعة من الخمس، والساحل، وزليطن، بقيادة عبد الله تامسكت.

الخامسة: واقعة وادي اكعام

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في وادي عين اكعام، الذي يقع بين الساحل وزليطن.

وسببها أن سعدون لما انسحب من النقازة إلى القطارة، انضم إليه عبد الله تامسكت، ومن معه من المجاهدين، المنسحبين من العزيزية، أمام تلك الجيوش، وانضم إليه ـ أيضاً ـ مجاهدو مسلاتة، وشقران، بعد أن أجلوا عائلاتهم عن طريق العدو، وكذلك مجاهدو الخمس، والساحل، وزليطن.

وعقدوا اجتماعاً عاماً بحضور سعدون، وتامسكت، وجميع الضباط، ورؤساء المجاهدين، وشيوخ القبائل، تدارسوا فيه حالتهم الراهنة ـ في ذلك الوقت ـ من جميع جوانبها.

واقتنعوا قناعة تامة بأنهم لم يبق لديهم مايقويهم على التصدي لتلك الجيوش الضخمة، التي وجهها العدو لاحتلال المناطق الشرقية، ولا ما يمكّنهم من إيقاف زحفها المتواصل، وتيار سيلها الجارف.

واتفقوا على أن تكون مهمتهم في المستقبل أمرين:

أولهما: أمر جميع أهل البلدان الشرقية بإخراج عائلاتهم، وجميع أسرهم إلى أراضي البادية البعيدة عن طريق تلك الجيوش، مع حمل كل ماتتوقف عليه ضرورة حياتهم المعيشية، واخلاء البلاد من كل ما يمكنهم نقله، أمام تلك الجيوش السلابة النهابة، حتى لا تجد في البلاد ما تسلب، ولا ما تنهب.

وثانيهما: العمل على تعطيل تلك الجيوش عن سرعة التقدم، بأقصى مايمكن من أنواع المقاومة لتتمكن الأهالي من إخلاء البلاد؛ ولذلك أرسلوا لكل بلاد مَن أمَرَهم بالجلاء فوراً لأراضي البادية.

وتوجه عبد الله تامسكت وأتباعه ـ بأمر من سعدون ـ للمجاهدين المرابطين في رأس الحمّام ـ بتشديد الميم ـ وهو جبل مرتفع يطل على مدينة الخمس، من الناحية الشرقية، وهو كالفاصل بين الخمس والساحل، ومكانه بالضبط ـ على الضفة الشرقية لوادي لبدة الأثرية.

وانضم إليهم عبد الله تامسكت ورفقاؤه، وتولى قيادتهم فيه بأمر من سعدون، ونظمهم ورتبهم، وجعل بعضهم في رأس الحمّام المذكور، وبعضهم في رأس لبدة، وبعضهم في رأس كُحْلَةَ، وهما رأسان محاذيان لرأس الحمّام.

وكمنوا ـ هناك ـ لمراقبة الطليان في الخمس، ورأس المرقب، إلى أن خرجت عليهم قوة بينتساري من مدينة الخمس، واصطدمت بهم في الرءوس الثلاثة، وذاقت منهم الويلات، وكبُدوها أفدح الخسارات.

ودامت المعارك ـ في رأس الحمام المذكور ـ ثلاثة أيام متواليات.

قال في معجم معارك الجهاد في ليبيا مانصه: «وقد تحركت هذه القوات (يعني قوات الطليان التي يقودها بينتساري) يوم 20 فبراير سنة 1923م، من الخمس نحو رأس الحمّام، في طريقها إلى زليطن، فتصدت لها قوات من المجاهدين، تقدر بحوالي ثمانمائة مجاهد، تحصنت بذلك الموقع الاستراتيجي الحربي الهام.

ونشبت ـ هناك ـ معركة مريرة تعتبر من أهم المعارك التي

خاضها المجاهدون في الدفاع عن زليطن»[1] إهـ.

وقد بقي سعدون في القطارة ـ التي هي بلدة عَمّابِرَة مسلاتة ـ إلى أن جاءه الخبر في اليوم الثالث لمعارك رأس الحمام، بأن جيش الجنوب ـ الذي يقوده غرسياني ـ قد خرج من ترهونة، ووصل بلدة الدّاوون.

فعند ذلك انسحب من القطارة، وسار مشرقاً، حتى وصل رأس الحمام في آخر النهار من ذلك اليوم، واتصل بعبد الله تامسكت ـ الضابط التركي الشجاع الخبير بسياسة الحرب ـ فأمره بالانسحاب لئلا يطوقه جيش غرسياني من جهة الجنوب.

قال ابن مسعود ـ في تاريخ رمضان ـ «وقد اضطروا بعد معركة طاحنة إلى الانسحاب عنه محتاطين ـ بذلك ـ محاولة تطويقهم. وتقول المصادر الإيطالية: إنه قد استشهد من المجاهدين مايقرب من مائة شهيد،

والتطويق المذكور الذي أجبرهم على الانسحاب من رأس الحمام ـ مع نقصان الذخيرة ـ هو اتجاه حملة غرسياني نحوهم من ترهونة على طريق الداوون والقطارة جنوب مسلاتة.

فانحدروا جنوباً ملتحقين بالعير الحامل لآلات سعدون الثقيلة المتوجة في السير لوادي ماجر»[2] إهـ.

وسار سعدون وجيشه ـ باسلحتهم الخفيفة، وبعض الثقيلة

(1) ص 238.
(2) ص 283 ـ 284.

لوادي اكعام، وكمنوا للعدو على ضفته الشرقية، وجعلوا ـ هناك ـ خنادق، وتحصينات.

قال ابن مسعود ـ في تاريخ رمضان ـ مانصه: «وكان المجاهدون ـ بقيادة سعدون ـ كامنين لهم في وادي اكعام.

وفي هذا الوادي تجلت أصدق الآيات، في تسابق المجاهدين على الاستشهاد، فخوض النار ـ عندهم ـ ولا العار، والفناء النبيل، ولا البقاء الذليل، وامتلؤوا ثقة بأنفسهم في هذا التصدي، أنهم رغم قلتهم، ونقصان ذخائرهم، لمستطيعون إيقاف زحف العدو، خمس أو أربع ساعات على الأقل، ريثما تخلى زليطن تماماً في وجهه البغيض.

وتمركزوا له على طول الحافة الشرقية من وادي كعام، وماكاد جند العدو يطل عليهم فجراً من الجهة الغربية ـ بعد مابات ليلته قربها في الساحل ـ حتى فوجىء بنيران الأسلحة الخفيفة، وبعض الثقيلة، تحصد مقدمته، وتمتد مراميها إلى مؤخرته، واندفع هو بجموعه إلى وسط الوادي، يريد تحصينات المقاومين له.

وعندئذ اشتدت بينهما الملحمة الرهيبة، وتعاظمت خسائر العدو البشرية؛ لأنه صار مكشوفاً لهم عياناً في قلب الوادي، بينما كان المجاهدون الفدائيون يفتكون به خلف معاقلهم.

وكان أسطوله يتابع سير الحملة قرب الشواطىء، فلما اشتد على الحملة ضغط المجاهدين في القتال، أشار بينتساري إلى ذلك الأسطول بقصف تحصينات المقاومين، ففعل، وصارت قذائفه تدك أمكنتهم التي اعتصموا بها، دكاً متواصلاً.

كما اشترك معه ـ أيضاً ـ في العمل طائراتهم بقذائفها من الجو.

فاضطر الفدائيون للنزول إلى مصارعة العدو متلاحمين معه برصاص البنادق والسلاح الأبيض.

ولمـا رأوا تنـاقص عـددهم بـالاستشهـاد، وتنـاقص ذخيـرتهم بالاستعمال، وتفوق خصمهم عنهم في كل شيء، تسلل بهم سعدون في طريقه بين سواني زليطن نحو وادي ماجر.

وتقدم العدو إلى الشرق، ودخلت قوات بينتساري زليطن بعد نصف النهار يوم 23/ فبراير سنة 1923م»[1] انتهى كلام ابن مسعود.

ولما وصل سعدون إلى ماجر سأل عن أهالي زليطن؛ فأخبر بأنهم خرجوا جميعاً إلى أراضي البادية، البعيدة عن طريق العدو، بعائلاتهم، وأموالهم المنقولة، ولم يلق العدو في البلاد إلاّ المنازل الخالية، والأشجار الصامتة، فهان عليه الأمر بعض الشيء.

وبادر فأبلغ أخاه أحمد بك ـ حاكم مصـراتة ـ بضـرورة جلائهم السريع مع الحكومة والأهالي عن البلاد.

كما طلب من الحاج علي المنقوش ـ القائد لجبهة قصـر حمد ـ التعجيل باخلائها، والانتقال إلى برية عبد الرءوف.

والواقع أن مصراتة ـ منذ كانت المعارك دائرة في رأس الحمام ـ أخذت ـ بأمر أحمد بك ـ تتنازح عن البـلاد ليلاً ونهـاراً، ناقلين معهم كل ماستطاعوا نقله من أشيائهم، وأرزاقهم.

ثم تبعتهم الحكومة، واستقرت ـ بصفة مؤقتة ـ في مكان بالبادية يسمى أسيـوطة، في الجنـوب الغربي بـالنسبة لمـدينة مصـراتة، على مسافة ثلاثين كيلو متراً تقريباً.

---

(1) انظر ص 284 وما بعدها.

وبعد ذلك استراح سعدون في وادي ماجر - جنوب زليطن - إلى وقت العصر، وبعد صلاة العصر أمر قوات المجاهدين بمغادرة وادي ماجر، فغادروه.

وواصلوا سيرهم إلى عبد الرءوف، حتى وصلوه آخر الليل، قبل طلوع الفجر.

وأما جيش الجنوب - الذي قاده قرسياني - فقد تحرك من الدَّاوون لتطويق سعدون في القطارة، ولما وصلها وجد سعدون منتقلاً منها، فزحف إلى رأس الحمام؛ لتطويق سعدون فيه، ولما وصله وجد سعدون منتقلاً منه، فزحف إلى وادي اكعام، ولما وصله وجد المعركة منتهية، ووجد سعدون منتقلاً منه، فزحف إلى وادي ماجر؛ لتطويق سعدون فيه، ولما وصله وجد سعدون منتقلاً منه.

فعند ذلك مال إلى الشمال، ودخل زليطن، واجتمعت جيوش العدو كلها في زليطن، وبقيت فيها يومين، تفكر في كيفية القدوم على احتلال مصراتة.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - مانصه «وبعد ماسقطت زليطن، لم يتمكن غرسياني من تطويق سعدون، والمجاهدين المرافقين له؛ لأنهم انسحبوا فوراً إلى عبد الرءوف، حيث توجد فيه ذخائر وأسلحة، وبذلك الانسحاب نحو عبد الرءوف خلت طريق مصراتة، أمام العدو من المقاومين له»[1] إهـ.

(1) ص 287.

ملحق لمعارك السلحيبة والحمام ووادي اكعام

ولما خرج سعدون ورفقاؤه من وادي ماجر انضم إليهم عبد الله تامسكت ورفقاؤه، وكذلك عون سوف ورفقاؤه، وساروا جميعاً حتى وصلوا عبد الرءوف، في قوة تتكون من أربعة آلاف وخمسمائة مجاهد.

وقد أمرهم سعدون باخلاء مخازن عبد الرءوف فوراً من جميع الأسلحة والذخيرة، ونَقْل مايمكن نقله منها إلى أسيوطة، وقصر الخزين، ورَدْم مالايمكن نقله منها في دهاليز عبد الرءوف التي تحت الأرض، فنقلوا منها من الأسلحة الإيطالية ـ التي غنمت من الطليان في سبخة أبي فار ـ مدفعين ثقيلين، ومدفعين خفيفين سريعي الطلق، وخمسة مدافع رشاشة، وكمية من سلاح بندق أبي ستة، وكمية من صناديق القنابل، وصناديق الخرطوش، وردموا مدفعين كبيرين جداً، لا يمكن نقلهما في أرض البادية، وبعض رشاشات فيها نقص وخراب، وجميع البنادق التي عدمت ذخيرتها، وقد تم جميع ذلك قبل طلوع الشمس يوم 24/ فبراير سنة 1923م.

وقدم عليه الحاج علي المنقوش ـ القائد لجبهة قصر حمد ـ، والهادي الزريدي ـ الضابط المسؤول عن العسكر النظامي ـ فيها بعد اخلائهما لتلك الجبهة، وسَحْب جميع مافيها من جنود وأسلحة إلى منطقة السكت ـ في تلك الليلة ـ بنظام دقيق، جعل الطليان ـ الذين هم في قصر حمد ـ لم يشعروا بذلك الانسحاب.

فعند ذلك أمر سعدون بالتقاء القوتين، واجتماعهما في منطقة أسيوطة قبل الليل، القوة القادمة من الجهات الغربية، والقوة المنسحبة من قصر حمد.

وهي ـ أي أسيوطة ـ بالنسبة لعبد الرءوف تقع في الجنوب الشرقي، على مسافة عشرة كيلومترات، وبالنسبة للسكت تقع في الجنوب الغربي على مسافة خمسة عشر كيلو متراً تقريباً.

وكان الأمر كذلك، فقد سارت القوتان، واجتمعت هناك قبل الليل، ومكث سعدون في منطقة أسيوطة ليلة واحدة.

وقد تقدم أنه قبل أن يغادر ماجر خاطب أخاه أحمد، والحكام المدنيين، بجهاز التلفون الذي معه، وأصدر لهم أمره باخلاء مصراتة من السكان، محافظة على أرواح صغيرة بريئة، وعلى شرف النساء والعائلات.

وفعلاً فقد رحل على وجه السرعة النسوة، والأطفال، والشيوخ، والعجزة، وتمت عملية الجلاء عن مدينة مصراتة، وضواحيها، وأطرافها من جميع السكان، في اليوم الذي وصل فيه سعدون عبد الرءوف، وهو يوم السبت 9 رجب سنة 1341 هـ الموافق 24 فبراير سنة 1923م.

وأصبحت البلاد خالية تماماً من السكان.

ومامضى يومان ونصف على إخلاء البلاد، حتى بدأت طلائع قوات العدو الأربعة ـ وهي قوة بينتساري، ومرتزقة يوسف خربيش، وقوة غرسياني، ومرتزقة أحمد العيَّاط الفسَّاطوي ـ الملقب بنصف البوتسعين ـ تزحف على أراضي أبي روية، وزاوية المحجوب، في تحفز وحذر، كالجراد الصغير الزحاف، المسمى ـ في لغة أهل ليبيا العرفية ـ بالدُّبْنُون، قادمة على طريق البرمن جهة زليطن، تأكل الأخضر واليابس، وتسحق كل شيء في طريقها، وذلك يوم الاثنين 11 رجب سنة 1341 هـ الموافق 26 فبراير سنة 1923م.

قال علي المصراتة ـ في تاريخ سعدون ـ «وكانت تحلم أنها ستجد في مصراتة شيئاً، ولكن خاب ظنها، فلم تجد إلاّ الصمت الرهيب، والسكون الذي يحمل وراءه ألف قصة.

لقد وجدوا البلاد خالية، وكم كان أسف الطليان؛ لأن هذه القوة الزاحفة، والأوباش المجردين من الضمير والشرف كانت تحمل معها من قائد الطليان أمراً بالاباحة، وهو مايسمى بالإيطالية (كارطة بيانكة) أي ورقة بيضاء، ومعناها الاباحة التامة، في المال، والدم، وكل شيء يجدونه.

ولما أخذ أفرادها يدخلون البيوت، ويجوسون خلال الديار يبحثون، فلم يجدوا شيئاً.

لقد نظّم سعدون خطة الانسحاب العسكري من الميناء، والخط الدفاعي، ونظم سحب الذخيرة من مخازنها، ونظم انسحاب الأموال، والعائلات من البيوت، حفظاً للشرف والأرواح.

ولذلك أسف الطليان على أن غنائمهم لن تكون شيئاً، وأخبرت البائدة الحاكم الإيطالي بأنهم لم يجدوا في مصراتة شيئاً أمامهم» انتهى كلام علي المصراتي[1].

وكانوا يظنون أن بلاد مصراتة سيبقى فيها سكانها، بجميع أموالهم وعائلاتهم، وأن سعدون إن هرب منها أمامهم، وتركها لهم، تمتعوا فيها كيف شاءوا، وإن بارزهم فيها بقواته الحربية طوقوه بتلك الجيوش الأربعة، من الغرب، والجنوب، وخرجت عليه القوة المتمركزة على ميناء قصر حمد من الشرق، وضربته الأساطيل البحرية

---

(1) ص 203

من جهة الشمال، والطائرات من جهة الجو، وتصير مصراتة كلها ناراً وجحيماً، وهناك يهلك سعدون وقواته، وتهلك البلاد - أيضاً - عن آخرها لا محالة، هكذا ظنوا.

ولكن خيب الله ظنهم، فقد أبعد سعدون عنهم جميع الأهالي بعائلاتهم وأموالهم، وأبعد عنهم الآلة الحربية - أيضاً - ووقف بينهم وبين الأهالي في منطقة أسيوطة مثل الأسد.

وقد تقدم أنه لم يمكث في أسيوطة إلّا ليلة واحدة، وفي صباح اليوم الذي بعدها انتقل إلى منطقة جيمي - وهي شرقي أسيوطة، على مسافة ستة كيلومترات - واجتمع فيها بأكثر أعيان البلاد ومشائخها، وخطب فيهم، وطلب منهم في خطبته قبول استقالته من قيادة الجيش، وألح عليهم في ذلك، فلم يقبلوا منه.

وقالوا - له - نحن رجالك يابي، فاطلب منّا ماتريد، سوى التنازل، فإنه غير مقبول منك.

فعند ذلك طلب منهم تقوية الجيش فقالوا - له - كلنا جنود ولابد أن يأتيك إثنان من كل بيت فيه ثلاثة رجال، ورجل واحد من كل بيت فيه رجلان، ولا يبقى للعائلات إلّا رجل واحد، يأتيهم بالماء من الآبار، ويعالج من مرض منهم، فهل رضيت؟.

فقال: الجيش محتاج إلى المؤنة.

فقالو - له - أمهلنا اليوم وغدوة، وفي اليوم الثالث يأتيك مايكفيهم أسبوعاً، ثم بعد ذلك يأتيك راتبهم في كل أسبوع، فهل رضيت؟.

فقال: قد جاءت معنا عائلات من البلدان الغربية - التي هي

غربي مدينة لبدة ـ بعضهـا من الزاويـة الغربيـة، وبعضهـا من العجيلات، وبعضها من صرمان، وبعضها من النواحي الأربعة، وبعضهـا من غريـان، وبعضها مس ترهـونـة، وبعضهـا من مسلاتـة، وبعضهـا من قمـاطـة، وبعضهـا من سيلين وشقـران، وبعضهـا من الخمس.

وقد جاءوا تاركين لديـارهم، متباعـدين عن بريتهم، فـارين من عدوكم وعدوهم، قادمين إليكم كقدوم المهاجرين إلى الأنصار.

فينبغي لكم أن تعـاملوهم معـاملة الأنصـار للمهـاجـرين، فـلا تجعلوا لأنفسكم أرضاً زائدة عليهم، ولا مـاء زائداً عليهم، ولا عشبـاً زائداً عليهم، ولا زرعاً زائداً عليهم، بل أجعلوهم اخوة، شركـاء لكم في جميع ماذكر، بحيث إذا جاء أحدكم لزرعه ووجد أناساً يحصـدون منه ويأكلون، فلا يقول لهم هذا زرعي فاجتنبـوه، وإنما لـه أن يحصد منه، ويأكل مثلهم لا غير، حتى يتم، أو يقضي الله أمراً كان مفعولا.

فقالوا ـ له ـ سمعاً وطاعة، نحن وجميعهم شركاء متسـاوون في كل ماذكرتَ، فهل رضيت؟.

فقال: يجب عليكم وعليهم ـ أيضاً ـ احتـرام الزرع، الـذي منه القـوت حتى يطيب، ويحصـل منه الانتفـاع للجميـع، ولم يبـق على تمام طيبه إلاّ شهر مارس القادم.

وحينئذ فيجب عليكم نقل جميـع العائـلات إلى أراضي ورفلة؛ لاتساعها، وقلة وجود الزرع فيها، وبُعْدِ مسافتها عن العـدو، واجتنابُ أراضي مصـراتة وزليـطن؛ لضيقها، وكثـرة وجود الـزرع فيها، وقـرب مسافتها على العدو.

فقالوا ـ له ـ سمعاً وطاعة، فلا تمضي ثلاثة أيام إلاّ وجميع العائلات في أراضي ورفلة، فهل رضيت؟.

فقال: الرضى في الوفاء بما ذكرنا.

وبقي في جيمى ثلاثة أيام، ثم انتقل إلى بئر القديرية ـ وهي جنوب جيمى، على مسافة عشرة كيلو مترات ـ واجتمع فيها بالجيش النظامي، وخطب فيهم خطبة مؤثرة، ومكث فيها ثلاثة أيام ـ أيضاً ـ، ثم انتقل إلى منطقة المشرك ـ وهي جنوب القديرية، على مسافة عشرة كيلومترات، ثم انتقل إلى منطقة أم العرفج جنوب المشرك على مسافة عشرة كيلومترات، واتخذها مركزاً عاماً لقيادة المجاهدين.

ومن هنا تعلم أن أم العزفج تقع جنوب تلك المواقع كلها، لكنها بالنسبة للمشرك على مسافة عشرة كيلو مترات، وبالنسبة للقديرية المقابلة لتاورغاء من الجهة الغربية على مسافة عشرين كيلومتر، وبالنسبة لجيمي الواقع شمال تاورغاء على مسافة ثلاثين كيلومتراً، وبالنسبة لمصراتة على مسافة ستين كيلومتراً.

وانتقلت جميع العائلات إلى أراضي ورفلة، جنوب أم العرفج، على مسافات مختلفة، وانتشروا فيها، فأهل الجهات الغربية كلهم استوطنوا الوديان الثلاثة الغربيات، وهي المردوم، وغبّين، وسوف الجين، وأهل الساحل وزليطن استوطنوا بنعزار، وقرارة القطف، والمخرم، الذي فيه قلعة الشيخ، وأهل مصراتة استوطنوا ثمد أبي خطوة، والسدادة، ونفد.

واستقبلتهم قبائل ورفلة بالفرح والسرور، والهدايا والضيافات، وقالوا ـ لهم ـ أرضنا كلها لكم مادمتم فيها، لا سيما قبيلة الطبول،

فقد وقفت لإعانة مصراتة وقوفاً كاملاً، وأسعفتهم بجميع أنواع الإعانات.

واستراح الناس هناك، وتخشنوا، وكونوا لأنفسهم حياة جديدة في تلك الوديان والشعاب.

قال ابن مسعود ـ في تاريخ رمضان ـ «وارتحل جميع أهالي المناطق الساحلية ـ هرباً من العدو ـ إلى أراضي البرِّية الجنوبية الخصبة، التي تتوفر فيها معاطن الماء، وكونوا فيها حياة جديدة، تحت الخيام والزرائب والأكواخ والمغائر، وكان بعضها معزولاً عن أحياء الأسر والعائلات، فاتخذت أسواقاً تجارية للسلع، وبيع الحيوانات، والأسلحة، وممارسة الحرف، والصناعات التقليدية.

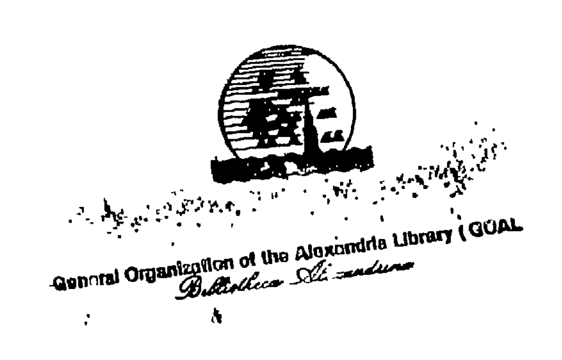
وكانت منازل مصراتة، وماجاورها بوادي نفد، ومنازل القادمين من شمال طرابلس وجنوبها، وهم المحاميد، برئاسة سوف، وبعض أعيان الزاوية الغربية، وترهونة، وغيرهم، كانت بوادي سوف الجين، ولم تستقر الأسر الفقيرة في تلك الأمكنة الخلوية، إلاّ بعد أن تحملت أثناء نزوحها من مشاق السير جناية في الأرض الشائكة، وعلى الحصى الناخس للأقدام، مع ثقل ماترفع فوق رأسها، وعلى ظهرها، ما لا يتحمله عادة إلاّ أرباب العزم القوي، والصبر الطويل»[1]. انتهى كلام ابن مسعود.

وانتقلت ـ أيضاً ـ حكومة مصراتة المحلية إلى منطقة السدادة، واستقرت هناك، وأنشأت فيها إدارة، وسوقاً لجميع البضائع والمصالح.

---

(1) ص 287 ـ 288.

وأما مركز المجاهدين فقد بقي في أم العرفج إلى واقعة المشرك.



السادسة: معركة المشرك

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في منطقة المشرك، التي تقدم ذكرها.

وسببها أن الطليان لما احتلوا مصراتة، صاروا يفكرون في احتلال تاورغاء،

وقد جاءتهم الأخبار ـ في مصراتة ـ بأن سعدون تمركز قريباً من تاورغاء، ويتوارد عليه المجاهدون، وينظم نفسه لمواصلة حربهم؛ فأشغل هذا النبأ بالهم، واهتموا له كثيراً.

قال ابن مسعود ـ في تاريخ رمضان ـ «ومن عادة الجبان الرعديد أن يعيش ـ أيام حياته ـ متخوفاً من خصمه الشجاع، المخاطر بنفسه، حتى لو كان هو متفوقاً عنه في كل شيء، من ضخامة الجيوش، ومعدات القتال، وتحت تأثير مّا أصاب العدو من العرب في مقاومتهم الأخيرة له من الخسائر الكبيرة المتنوعة، رغم ضآلة عَددهم وعُددهم.

لهذه الأسباب بقي نحو شهرين في مصراتة، من 26 فبراير إلى نهاية إبريل سنة 1923م، يهيىء نفسه للقيام بتحرك جديد، حاسم قوي؛ ليقضي به على سعدون وجيشه، قضاء مبرماً، ماداموا في حالة إعياء شديد، وعوز للعتاد والميرة.

ولم يخف على سعدون مايبيته له العدو، ولتوقعه مكره وغدره في أية لحظة، أخذ يبعث بدورياته الاستكشافية عنه إلى جهة تاورغاء وأطرافها، وقد صح ماتوقعه.

فلأهمية تاورغاء ـ أيضاً ـ لدى العدو بالنسبة لحماية مصراتة من الشرق، وقربها إلى معسكر المجاهدين، زحف عليها بأول يوم من شهر مايو.

وعندما رأى أبناؤها تقدمه نحو بلدتهم تجاروا؛ فتقلدوا أسلحتهم النارية والبيضاء، واشتبكوا معه في قتال باسل دام، ماكان يَحسِبُ أن يجده من هؤلاء الفلاحين السمر.

وكان من شهدائهم الأعيان ـ في هذا الكفاح ـ المجاهد البطل (السيد خالد مدالي).

ثم بتفوق الطليان الكبير عنهم ـ جنداً وأجهزة ـ تمكن من احتلالها في نفس اليوم المذكور.

وشعر سعدون من سقوط تاورغاء في يد العدو باقتراب مجيئه إليه، فأرسل سرية من الفرسان تستطلع تحركات العدونحوه، وكان من بين فرسانها البطل عون سوف، والشاب الجرىء إبراهيم بن رمضان السويحلي.

وبأول ظهور الصباح شاهدوا طلائع العدو تتقدم نحو سواني المشرك المحاذية أرضها لأم العرفج. وخلف طلائعه جيش ملأت كثرته سهول الجهة، فأسرع اثنان إلى سعدون. وأخبراه بما رأوا.

ومن سوء حظ المجاهدين أن سواني المشرك، التي اختراها العدو لنشوب المعركة، لم تكن أرضها بالنسبة لهم صالحة للقتال؛ لأنها مكشوفة الوسط والجوانب، وليس فيها أي متقى طبيعي أو إنشائي لحرب المقاومة والدفاع، فهي خالية بتاتاً من الأودية والمرتفعات والأشجار والحواجز الترابية. نظير ماهو موجود من هذه الأوضاع في رأس الحمام، وعين اكعام، ومصراتة مثلاً.

ولفقدها لهذه المزايا الدفاعية للمقاومة لا تكون لائقة إلّا لتصارع الجيوش الكبيرة المتكافئة في العدد والعدد، لا لألف وثلاثمائة مجاهد (1300) تنقصهم الذخيرة والأسلحة والميرة، مع توفرها عند خصمهم، الذي تتدفق عساكره عليهم.

ومع هذه الموانع كلها فقد برز سعدون، وكل واحد منهم كما قال الشاعر:

وإذا لم يكن من الموت بدّ * فمن العار أن تموت جبانا

ولما وضحت لسعدون رؤية العدو، وهو ممتطٍ لجواده، الذي طالما أنقذه بجريه ـ كالغزال الشارد ـ من المخاطر في أحرج ساعات القتال.

عندئذ أومأ لإخوانه بالهجوم الفدائي، فاندفعوا إلى العدو، اندفاع الليوث، للفتك بفرائسها المختبلة.

وأحدث هجومهم السريع المباغت زعزعة واضطراباً في جيش الكولونيل (روجيري).

الأمر الذي مكنهم من أن ينفذوا إلى قلب صفوفه بالسلاح الأبيض، ومحاربة أطرافه الأخرى بالأسلحة النارية.

وكان سعدون يركض من جانب إلى جانب مشجعاً اخوانه، ومشاركاً ـ إياهم ـ في القتال الملتحم، ومنادياً عليهم بالصبر والثبات، ومضاعفة الفداء.

ولتضعضع العدو من احتدامه بهجومهم القوي لاحت عليه دلائل الانهزام، ولكنه دفع احتياطيه إلى المعركة، بهجوم مضاد عنيف، وعلى الرغم من ذلك فلم يحدث في صفوف المجاهدين ماكان يرجوه العدو، بل لاحت عليه علامات الهزيمة أيضاً.

ولكن قدر الله ـ في هذه الأثناء ـ أن جواد سعـدون أصابـه طلق ناري؛ فهوى على الأرض نافقاً، وبادر إخوانه فقدموا له جـواداً آخر، وبينما كان يهم بركوبه أصابته من الأعداء ثلاث عيارات نارية، واحدة أصابت رجله، والثانية أصابت صـدره، والثالثـة اخترقت رأسـه، وهي التي قضت عليه؛ فسقط على إثرها شهيداً.

كما أصيب ـ معه في تلك اللحظة ـ واستشهد ضابط الرشـاش ـ الذي كان بجواره ـ وهو البطل سالم مسعود الشرفي المعداني.

وماكاد المجاهدون يرون سقوط سعدون، وروحه الطاهرة فائضة إلى ربها، ويسمع بذلك اخوانه المتباعدون عنـه ـ وهم يقاتلون ـ حتى رانت على قلوبهم الأحزان المبرحة، والكآبة الشديدة، والتأثـر البالـغ حـد الذهـول؛ لعظم هـذه الكارثـة المفاجئـة، ثم لعـدم التعيين ـ من قِبَلِهِ ـ لوكيل عنه يتولى أمر قيادتهم.

اضـطروا للتراجـع من المعركـة عن مـوقفهم المتقـدم، وانتهـز العـدو ظاهـرة الارتباك ـ التي جـرت لهم أمامـه ـ وانسـحابهم، فـاعتبر المعركة انتهت في صالحه». انتهى كلام ابن مسعود بنوع تصرف.[1]

ثم قال: «وتأييداً معززاً لما تناولنـاه من الشرح لـظروف وكارثـة المعركة ـ بسـواني المشرك ـ نسـوق فيما يلي مـا شهد بـه العدو فيهـا للعرب من الشجاعـة الفائقـة، وماقـدر به من آيـات البطولـة لقائـدهم سعدون.

فقـد جـاء في معجم المعـارك ـ صفحـة 288 و 289 ـ قـولـه ـ نصاً ـ «وتعترف المصادر الإيطاليـة الرسميـة بسيطرة المجـاهدين على

---

(1) انظر ص 289 وما بعدها.

الموقف في بداية المعركة، وبأن القوات الإيطالية قد وجدت نفسها في المرحلة الأولى للمعركة في وضع مرهق، محفوف بالخطر، ولم يفلح الهجوم المضاد الذي قامت به القوات الإيطالية في السيطرة على الموقف، إلاّ بعد أن سقط سعدون قائد المحلة؛ فتشتت الشمل، وكانت الغلبة للقوة».

ويستمر الكاتب قائلاً: «ولكن المصادر الإيطالية لا تملك إلاّ أن تعترف لهذا القائد بشجاعته؛ فقد سجل رسمياً (أنه قد قام بمهاجمة قواتنا بعنف غير عادي، وبشجاعة كانت نادرة حقاً)[1] إهـ.

وقال الزاوي ـ في جهاد الأبطال ـ مانصه: «وقد خرج العدو في يوم 4 مايو سنة 1923م من تاورغاء في قوة كبيرة، وتلقاه المجاهدون في المشرك، ونازلوه القتال.

فكانت معركة حامية الوطيس، دامت من الصباح إلى الظهر، وقد أبلى المجاهدون فيها بلاء حسناً.

وكان محمد سعدون ـ رئيس المجاهدين ـ يقتحم صفوف العدو، في جرأة فائقة، مما شجع المجاهدين على الثبات، والتدافع على الموت.

وكانت رغبة التغلب على العدو تدفعهم إلى اقتحام صفوفه، في غير مبالاة به، وكانوا أشبه شيء بالمتبارين في النيل من العدو؛ للوصول بنتيجة المعركة إلى رجحان كفتهم.

وقد كان لكثرة جند العدو، وكثرة معداته أثر واضح من الحد من وصول المجاهدين إلى الغاية.

---

(1) ص 292 ـ 293.

وقد انصرف كل من الطرفين المتقاتلين وهو يعتقد أنه مغلوب» انتهى من جهاد الأبطال[4].

وقال علي المصراتي ـ في تاريخ سعدون ـ «وقد كانت طلائع الفرسان ـ التي أرسلها سعدون ـ مرابطة على حدود تاورغاء.

فخرجت عليهم قوات العدو بتاريخ يوم الجمعة 18/ رمضان سنة 1341 هـ.

ونشبت المعركة بين قوة المجاهدين وقوة الطليان، وأرسل المجاهدون رسولاً ـ على ضامر ـ طالبين النجدة.

وبُلِّغ سعدون أن الموقعة بدأت بين الطرفين في واد المشرك، ودق الطبل، وتواصل دويه في جنبات الصحراء، وصهلت الخيول، وركب الفرسان على الجياد، وانتظمت كوكبة المناضلين والمشاة، وجُهِّز المتراليوز، وتسابق المجاهدون إلى ساحة النضال، وتقابل الفريقان في تلك الأرض الجرداء.

وكان البطل سعدون في المقدمة، ممتطياً جواداً أحمر، وهو يلهب الصوف بتكبيراته ووثباته، وينادي بلسان فصيح، وحماس مثير بأعلى صوته ـ وسلاحه في يده ـ (مزقوهم مزقوهم) حتى تقهقروا، ولاحت عليهم دلائل الانهزام.

فعند ذلك أصيب جواد سعدون بطلقة نارية، سقط بها إلى الأرض ميتاً، وبينما هم في هذه الحالة، أتت نجدة لصفوف الأعداء من الأحباش، واستطاع العدو ـ بعد مزيد من المشقة والصعوبة، وبعد

تساقط العديد من صرعـاه ـ أن يتقدم بعـد أن سقط حصان سعـدون، واستطاع الأحباش أن يعملوا كماشة.

وكان سعدون قد طوقته هذه القوة، بعد صرع حصانه الذي كان يخوض به المعمعة، وقام ناهضاً، وأتوا له بحصان محمد الرملي.

وبينما كان سعدون يهم بركوب الحصان، ووضـع رجله الشمال في الـركاب إنهـالت عليه الـطلقـات متـواصلة، فـأصيب في سـاقـه، والإصابة الثانية في صدره، والإصابة الثالثة ـ التي قضت عليه ـ كانت في جبهته، فتدرج في دمه الزكي.

ولما سقط سعدون، وارتبك بسقوطه المجاهـدون، انتهز العـدو فـرصة ارتبـاكهم، فتقدمت فـرقة من الأحبـاش إليهم، حتى كادت أن تختلط بهم، وقضت على اثنين من ضبـاط الرشـاشات، وهمـا سـالم مسعـود الشرفي، وعمـر سليمان الضـراط، فأمـا سـالم الشـرفي فقـد أصيب في يده إصابة خطيرة، قبل سقوط سعدون بزمن قليل، وقال له زملاؤه تأخر، وأفسحوا له الطريق، فأجاب لا لا، واستمر في محاولته المستميتة في الدفاع، وعندما حاصرته النيران، وأطبقوا عليـه، وعجز عن مـواصلة الضرب، حـاول أن يتأخـر، وهنـا هجم عليـه الأعـداء، وأطـاحوا رأسـه بالسيف، وقـد كان في طـول سعدون، ولـون بـدلتـه العسكرية تشبه بدلة سعدون، فلذلك ظنه الطليان عندما سقط شهيـداً أنه سعدون، وسرعان ماحملوا جثمانه معهم ظناً أنـه سعدون، وتـركوا جثمان سعدون طريحاً.

وأمـا عمر سليمـان الضراط فقـد أنجـده ـ أول الأمـر ـ مـدفعـه الـرشاش، ولكن صـوبت إليه المـدفعية الإيـطاليـة الـرصـاص، حتى أصيب مدفعه، وتكسر، ومات حصانه، وبعد ذلك تقدم إليه أفـراد من

الجيش الإيطالي، وأدالوه بالسلاح الأبيض، حتى خضبت الأرض بدمائه، والتحق بالشهداء من إخوانه.

وبعد ذلك انسحبت قوات الأعداء، وانسحبت قوات المجاهدين، كل يظن أن خصمه تغلّب عليه.

وترك الفريقان القتلى والجرحى» انتهى كلام علي المصراتي باختصار وتصرف كثيرين[1].

ومما نقلناه من تلك المصادر الأربعة يعلم أن معركة المشرك لم ترجح فيها كفة انتصار العدو إلاّ في آخر لحظة، وهي اللحظة التي سقط فيها سعدون، وارتبك فيها المجاهدون، وأنها تشبه واقعة أُحُدٍ في الجملة، وأنها مما حصل فيها الضرر للطرفين.

فقد هلك فيها من جيش العدو خلق كثير لا يحصيه عدد، واستشهد فيها من المجاهدين نحو مائة وخمسين شهيداً. منهم محمد سعدون السويحلي، قائد الجيش الحربي، وقد تقدم بيان كيفية إصابته.

ومنهم الضابط سالم الشرفي، وقد كان برتبة ضابط من سلاح المتراليوز الرشاش، وكان على متراليوز من نوع مسكوف، وقد تقدم أن الطليان حملوا جثمانه معهم يظنون أنه سعدون.

لكن روينا عن صديقنا الحاج محمد بن حسونة القراري أنه قال: كنت في واقعة المشرك من أعوان سالم الشرفي على مدفعه الرشاش، ولما عجز عن الضرب طلب على الانسحاب، وطلب مني أن أُعِينه، فنهضت معه حتى قام، ولوى يده الصحيحة على عُنقي،

---

(1) انظر ص 238 وما بعدها.

وقـال: انسحب بنا، فسـرت به مقـدار خمسين خطوة، وهنـاك أُغمي عليـه، حتى انفكت يده من رقبتي، فمسكتـه عن السقوط، وعجـزت عن حمله، فأنزلته إلى الأرض، والتفتُّ.

وإذا بحبشي جاءنا يجري، ولم يبق بيننا وبينه إلّا مقدار ثـلاثين خـطوة، وليس عندي مـاأدافـع بـه، فـطحـرت سـالمـاً على الأرض، وانسحبتُ مسـرعاً، ولا زال الحبشي يجـري حتى وصل إليـه، وشرع في إزالـة رأسـه، فعنــد ذلـك وصلت إلى رجــل من المجـاهــدين المنسحبين، فـوجدني نتحـوقل، ونقـول: رزانـا في هـذا الضـابط، اللهم أرزه في عمـره، فقـال ذلـك الـرجــل: ليس عنـدي إلّا طلقــة واحـدة، ولكن ليس لهـا خيـر من هـذا الحبشي، الـذي أهلك هـذا الولد، ووجه البندقية إليه.

وبينمـا أتم إزالة الـرأس، وأخذه في يـده، وشـرع في القيـام، انطلق عليه وجه البارود من ذلك الرجل، وأصابتـه الرصـاصة قبـل أن يستـوي قائمـاً، فسقط على الأرض صـريعـاً، والـرأس في يـده، ولم يـوجد أحـد من الأحباش بقـربه، ولم يـرجع إليـه أحـد من الأحبـاش المنهزمين إهـ.

وهـذا مما يـدل على أن الـطليـان لم يحمـولـه معهم في ذلـك اليوم، وإنما أرسلوا إليه من حمله إليهم في اليوم الـذي بعده، وكـلام ابن مسعـود ـ في تاريـخ رمضان ـ يشيـر إلى ذلك، حيث قـال: «ولما كان الطليان قد بلغهم استشهـاد سعدون بعثـوا ـ سراً ـ من يـأتيهم به، وغلط الذين أرسلوهم، فأحضروا لهم جثمان سالم الشرفي، لممـاثلته لسعـدون في القـامـة، والـزي العسكــري، واللون، وشعـر الـرأس المسترسل قليلاً إلى الوراء، كالعادة التقليدية للفرسان القدامى»[1] إهـ.

---

(1) ص 293.

ومن شهداء معركة المشرك ـ أيضاً ـ الضابط عمر الضراط، وهو ضابط متخرج من مدرسة نورى، وقد تقدم أنه قتل فيها بالسلاح الأبيض.

والضابط سعيد بن موسى البرزان، وهو ضابط مسؤول عن فرقة البرزان.

والضابط عبد الرحمن التريكي البلعزي، من بلاعزة الزاوية الغربية، وهو ضابط متفوق في الرشاشات، وقد أصابته طلقة نارية، وهو يصوِّب من رشاشه الرصاص إلى صدور الأعداء.

والطاهر ابن الشيخ رمضان أبي تركية، وفيها استشهد بالسلاح الأبيض.

وعبد الله بن مليطان، وقد كان من جنود الرشاشات، ومن المساعدين للشرفي على رشاشه المسكوف، وقد استشهد في سن العشرين.

ورمضان عبد السلام الأدغم، ومحمد مفتاح فتولة، ومحمد بن صالح دقيق، من مصراتة.

والشيخ السنوسي الكاسح، من قبيلة العبادلة.
والشيخ محمد بن عبد الله الدكام من قبيلة الطبول.

ومن الجرحى ـ في معركة المشرك ـ الضابط علي إبراهيم القن، وهو ضابط متخرج من مدرسة نوري، وكان برتبة قمندان للبيادة المشاة، وقد أصيب بطلقة نارية في رجله، حتى انكسرت فخذه، وأصيب حصانه ـ أيضاً ـ بضربة مهلكة، ولكن لم يسقط حصانه إلاّ بعد أن خرج به من ميدان المعركة، وأتاه بعض رفقائه، فحملوه على

جمل إلى الصفوف الخلفية، فسلم من القتل.

ومنهم - أيضاً - الشيخ علي بنيني البلعزي، من مشائخ الزاوية الغربية، ورجالها الفرسان.

وغير هؤلاء من الشهداء والجرحى كثيرون، لم يمكن التوصل لمعرفة اسمائهم، ولكنهم سجلوا في ديوان الشهداء عند ربهم.

جثمان سعدون ودفنه

قال الزاوي - في جهاد الأبطال - «ونظراً لشدة المعركة فقد ترك المجاهدون قتلاهم في ميدان المعركة، كما ترك العدو قتلاه كذلك، وفي اليوم التالي ليوم المعركة رجع الناس إلى محل المعركة لنقل الشهداء.

فنقل سعدون إلى السدادة، ودفن فيها يوم الأحد 20 رمضان سنة 1341 هـ الموافق 6 من مايو سنة 1923م»[1] إهـ.

وقال علي المصراتي - في تاريخ سعدون - «في يوم السبت 19 رمضان سنة 1341 هـ انتقل المجاهدون من أم العرفج إلى وادي نفد، واجتمعت صفوفهم - هناك - بالقرب من قارة السدادة، وفي يوم الأحد - التالي للمعركة - رجع المجاهدون إلى ساحة المعركة؛ لنقل جثمان الشهيد البطل، فقد كلف أحمد السويحلي - أخو سعدون - الضابط الذي كان بجانب سعدون عند استشهاده، وهو المجاهد محمد الرملي، وقال له: اذهب إلى ساحة القتال، حيث دارت المعركة، فإذا وجدت جثمان سعدون فأحمله على هذا الجمل، وائت به إلينا هنا.

---

(1) ص 342.

وفوراً ذهب ذلك الضابط وأعوانه إلى ساحة المعركة فوجدوا جثمان الشهيد البطل في مكانه كأنه نائم، وحملوه على الجمل، وجاءوا به إلى منطقة السدادة.

وحضر المجاهد الكبير محمد سوف المحمودي، وابنه عون، وأبنا أخيه سعيد وعبد الرحمن، ومعهم كوكبة من الفرسان، قوامها سبعة وثلاثون فارساً.

وحضر جميع الضباط، والجنود، وفرسان المجاهدين.

وانتظم منهم صفَّان يؤدون تحية الفروسية والدفاع، تحية البطولة في خشوع للبطل الشاب الشهيد.

ومن بين الصفين حمل جثمانه الطاهر، في لحظات رهيبة، ودفن في مقبرة بجوار قارة السدادة، القلعة المشهورة في وادي نفد جنوب مصراتة، على مسافة مائة كيلو متراً تقريباً.

ولما جاء الناس ليعزوا أهل سعدون قال أخوه، وأقاربه، وأصدقاؤه، وقال الضباط، والجنود الذين صحبوه: كل واحد يعزى نفسه، سعدون للجميع.

وقال المعزون ـ أيضاً ـ نَعَمْ سعدون للجميع، فقد بذل روحه للوطن والواجب، حتى استشهد وهو في الثلاثين من عمره، لن ننساه أبداً» انتهى كلام علي المصراتي باختصار وتصرف.[1]

---

(1) انظر 242 وما بعدها.

ملحق لمعركة المشرك

قال الزاوي ـ في جهاد الأبطال ـ «قد كان لموت سعدون أثر بيِّن في ضعف قوة المجاهدين المعنوية.

فقد كان ـ رحمه الله ـ شجاعاً، قوي الإرادة، مهاب الجانب، مقداماً في الحرب، لا يبالي أنزل على الموت أم نزل الموت عليه.

وقد أعجب بمضاء عزيمته المجاهدون والجند إلى أبعد حد.

فكان ـ عندهم ـ مثالاً للرجولة الكاملة، والتضحية الخالصة في سبيل الله والوطن.

ولم يكن أفراد الشعب أقل اعجاباً به من المجاهدين والجند، بل كان لاسم سعدون ـ في نفوسهم ـ مكان الاحترام والتقدير؛ لما قدمه من خدمات صادقة لوطنه.

وكان موته في ظروف ساءت فيها حال المجاهدين، وتوالت انتصارات العدو، وكان العثور على مثله ـ في ذلك الوقت ـ في حكم المتعذر.

فلهذا كله كان موته محفوفاً بكثير من أسباب اليأس من القدرة على مكافحة العدو، وبفتور في العزائم، وهنت معه قوى الناس المعنوية.

وقد شغل الذين يعنيهم الأمر بالتفكير فيمن يخلفه في رئاسة الجيش والمجاهدين.

وقد رأوا للضرورة الملحة أن يعينوا بدله الحاج علي المنقوش.

وانتقـل مجلس قيادة المجـاهدين من أم العـرفـج إلى السـدادة بوادي نفد، ونقل إليها ماكان بأم العرفج، من أثقال الجند ومتاعهم.

ويـظهر أن في الحـاج علي المنقوش حـدة في الطبـع، جعلت ضباط الجيش يشعرون بوحشة من ناحيته.

فلذلـك تقدمـوا إلى حكومـة مصراتـة بـطلب تعيين إبـراهيم بن رمضان بك قائداً للجيش، بدلاً من الحاج علي المنقوش.

فوافقت الحكومة على تعيين إبراهيم المـذكور، وتم تعيينـه في شـوال سنـة 1341 هـ. انتهى من جهـاد الأبـطال ببعض تصـرف وزيادة.[1]

(1) انظر ص 342 ـ 343.

السابعة: واقعة العوكلي ونقطة المحجوب

وإنمـا اشتهـرت بهـذا الاسم لأنهـا وقعت في المـوضعين المذكورين.

والعوكلي شخص له منزل ومزرعة بقرب رأس حديد، الذي فيه الآن المطار، المسمى بمطار رأس حديد، ويسمي برأس الماجن أيضاً.

وسببها أن الطليان لما انتهوا من واقعة المشرك تركوا تاورغاء، ورجعوا لمصراتة، وانكمشوا في مدينة المواطين بضعة أشهر، وتخوفوا من العرب، الذين جلوا من بلدانهم، وسكنوا في أراضي البادية، حيث رأوهم توغلوا في الصحراء البعيدة، وتمسكوا بالجبال المنيعة، وسكنوا في الأراضي الوعرة، التي تصعب على الجيش الإيطالي، وكوّنوا فيها حياة جديدة، وأسواقاً رائجة لبيع البضائع والحيوانات، واتصفوا فيها بالتقشف والتجلد، وبقيت حكومتهم قائمة وجيشهم منتظماً.

ورأوا أنهم لابد أن يعيدوا الكرة على الجيش الإيطالي بالحصار، وقطع طريق المواصلات البرّية التي بين مصراتة وطرابلس.

فلذلك أخذوا مزرعة العوكلي ـ التي تقدم ذكرها ـ وبنوا فيها حصناً، وملؤوه بالمرتزقة الأحباش، وجعلوهم تحت قيادة الكولونيل روجيري.

وأخذوا حوش احميدة ـ الذي فيه نقطة المحجوب ـ وجعلوه

حصناً ثانياً، وملؤوه بالمرتزقة البيض الأوباش، وجعلوهم تحت قيادة علي الكريتلي؛ لحماية مدينة المواطين، ولتأمين المواصلات التي تمر مع الطريق الساحلية، بين مصراتة وطرابلس.

وسمعوا من جواسيسهم أن العرب المهاجرين في أراضي ورفلة حصل لهم نشاط جديد، بسبب تعيين إبراهيم بن رمضان السويحلي، خلفاً لعمه سعدون في قيادة الجيش الحربي.

وأن جميع المهاجرين وافقوا على تعيينه، وأن وفوداً كثيرة جاءت في شهر ذي القعدة سنة 1341 هـ من سوف الجين، وغبّين، والمردوم، وبنعزار، وقرارة القطف، وقلعة الشيخ، إلى السدادة؛ للمباركة والتأييد، وجاء إلى السدادة ـ أيضاً ـ صفى الدين السنوسي من برقة، وعبد الجليل سيف النصر من الجفرة.

واجتمعت جميع الشخصيات البارزة في السدادة، وعقدوا مؤتمراً عاماً فيها، حضره أحمد بك السويحلي ـ رئيس حكومة مصراتة ـ ومختار بك كعبار من غريان، وسليمان التواتي من ترهونة، والشيخ محمد سوف من المحاميد، والشيخ علي بنيني من الزاوية الغربية، وخالد القرقني، وعثمان القيزاني من طرابلس، وعبد الجليل سيف النصر من الجفرة، وصفى الدين السنوسي من برقة، وعبد الرحمن عزام من مصر.

واتفقوا فيه على أمرين:

أولهما: السعي في التوفيق بين أسرة رمضان السويحلي وعبد النبي بن خير؛ لوحدة الصف ضد العدو الغازي.

ثانيهما: إنشاء حرب العصابات، في جميع البلدان التي

استولى عليها العدو في زحفه الأخير، تمسكاً بمبدأ الدفاع عن الوطن، إلى آخر مايمكن احتماله.

وقرروا أن يذهب قسم من المجاهدين والعسكر لمناوشة الطليان على حدود مصراتة، وزليطن، ومسلاتة، وترهونة.

وتنفيذاً لذلك القرار فقد ذهب عبد السلام المريض - في قسم من المجاهدين - إلى ترهونة، وذهب المهدي السني - في قسم آخر - إلى مسلاتة، وذهب علي بحيح - في قسم ثالث - إلى زليطن، وذهب إبراهيم السويحلي، وعون سوف المحمودي - في قسم كبير من مجاهدي مصراتة، والزاوية الغربية - إلى مصراتة في أواسط المحرم فاتح عام 1342 هـ. الموافق لأواخر أغسطس سنة 1923م.

قال غرسياني - في كتابه نجو فزان «إن هذا الترتيب، وقع من الطليان موقع الانزعاج والخوف» إهـ.

ولما وصل إبراهيم ومن معه إلى مصراتة بادر لمحاصرة الحصن الذي في سانية العوكلي، وأرسل جماعة من المجاهدين لمحاصرة الحصن الذي في زاوية المحجوب.

ولم يطل الوقت حتى تمت محاصرة الحصنين، والحيلولة بينهما وبين المدد إليهما من مدينة المواطين، قبل طلوع الفجر.

وعند طلوع فجر ذلك اليوم، وهو يوم 7 سبتمبر سنة 1923م، بدأ مدفع المجاهدين في قصف الحصن الذي في سانية العوكلي.

فنزلت القذيفة الأولى على وسطه، وأصابت مقر الحاكم العسكري روجيري، وقد قيل إنه هلك بها، ونزلت الثانية على جانبه الشرقي فهدمته، والثالثة على جانبه الشمالي فهدمته أيضاً.

فعنـد ذلـك خـرجت منـه فـرقـة من الأحبـاش؛ للهجوم على المجاهدين، واشتبكت معهم في معركة حامية الوطيس.

وخرج الباقون منهم ـ وهم الأكثر ـ بنية الفرار مع ظلام الفجر.

ولما رآهم خيالة المجاهدين لاحقوهم في السـواني والبساتين، وقتلوا من أدركوا منهم، وفرّ الباقون على وجوههم.

وأمـا من هجمـوا على المجـاهـدين؛ فقـد هلكـوا بـالقتـل عن آخرهم.

واستولى المجاهـدون على حصن سانيـة العوكلي، وغنمـوا كل مافيه، من سلاح، وذخيرة، ومؤنة، وخيل، وبغال، وغير ذلك.

وقـد هلك ـ في معركـة سانيـة العوكلي ـ من جيش العـدو نحو مـائة وخمسين جنـدياً، منهم شخص واحـد أبيض، وجدت جثتـه في مقـر الحاكم العسكـري، بعد زوال بعض أطـرافه؛ ولـذلك قيـل إنـه روجيري، والباقون كلهم من المرتزقة الأحباش.

واستشهد ـ فيها ـ من المجاهدين نحو خمسة عشر، منهم سعيد ساطي، من سواطي مصراتة.

وأمـا حصن زاويـة المحجـوب فقـد بقي محـاصـراً إلى اليـوم الثاني.

وقـد خاطبهم المجـاهدون بتسليم أنفسهم فـأبـوا، فعنـد ذلـك ضربهم المجاهدون بقنبلة من المدفع الصغير، حتى تصدع الحصن، وانهدم جانب منه.

فعند ذلك خافوا، ونصبوا الراية البيضاء، إشارة للتسليم.

وأول من سلم نفسه ـ رئيسهم ـ علي الكريتلي، ثم الباقون.

فوجدوا جميعاً من المرتزقة البيض الأوباش، المعروفين باسم الباندة، فأخذوا أسرى.

واستولى المجاهدون على كل مافي الحصن من سلاح ومتاع.

ونقلوا جميع الأسرى إلى إبراهيم السويحلي، فأعدم أربعة منهم لجرائم مخصوصة، كانوا قد فعلوها، وصاروا مسئولين عنها.

وأفرج عن كثير منهم؛ لأنهم لم يفعلوا شيئاً فيه مسئولية.

وأما علي الكريتلي فقد أرسله إبراهيم إلى السدادة، حيث الحكومة الوطنية، وشُكِّل مجلس شرعي لمحاكمته، وبعد استجوابه، وثبوت إدانته، حكم عليه بالإعدام شنقاً، بتهمة الخيانة العظمى، وممالأة العدو على وطن من أوطان الإسلام.

ومن أعضاء المجلس ـ الذي حكم عليه ـ الشيخ عمر الميساوي رحمه الله.

ولذلك نصبت له مشنقة في السدادة، وشنق فيها هناك، جزاء لمناصرته للطليان.

ولما قضى إبراهيم على الحصنين المذكورين اتسع له وللمجاهدين المجال، واقتربوا من حصون المواطين، وصاروا يناوشون الطليان هناك.

وانتقل إبراهيم من رأس حديد إلى كرزاز، واتخذ الغريفة مقراً له ـ كما اتخذها أبوه بعد رجوعه من القرضابية ـ.

وجعل مركز المجاهدين في كرزاز ـ كما جعله أبوه بعد القرضابية أيضاً ـ.

وأمر المجاهدين بالزحف إلى المواطين؛ لحصارها ـ كما فعل

أبوه بعد رجوعه من القرضابية.

وجعل رئاسة المجاهدين لعون سوف بدلاً من الحاج علي المنقوش.

واستمر في حصار المواطين، وصارت أكثر أجزاء البلاد محررة، وفرح الناس، ودخلوها دخول الفاتحين، وصاروا يتجولون فيها، ومنهم من دخلها بأسرته ومكث فيها، حتى عمرت بالسكان في الجملة.

الثامنة: معركة الكراريم

وإنما اشتهرت بهـذا الاسم لأنها وقعت في مكـان بين مصراتـة وتاورغاء، يسمى الكراريم.

وسببها أن الطليـان لما أقلقتهم حـركة حـرب العصابـات، التي أوقعتهم في شبـه حصـار، ووقفت سـداً بينهـم وبيـن التـقـدم إلى الجنوب.

جهـزوا جيشاً كبيـراً، قدر بخمسـة عشر ألفـاً، مركبـاً من طليان بيض، ومرتزقة أحباش، ومرتزقة أوباش، من أتبـاع يوسف خـربيش، وغيرهم.

ووجهـوه ـ من النـواحي الأربعـة والعـزيـزيـة ـ لـطرد الثـوار من أماكنهم، التي تمركزوا فيها.

وخـرجوا بـه ـ أولاً ـ على عبد السـلام المريِّض في تـرهـونـة، فـدافعهم قدر المستـطاع، وقُتِلَ كثيـر من إخوانـه، ولـم تمكِّنهم قلتهم من الوقوف أمام كثرة جيش العـدو، فانسحب عبـد السلام المـريض، ومن بقي من إخوانه حيـاً إلى الجنوب، واستمـر الطليـان في طريقهم إلى الشرق، فكان موقف المهدي السني ـ في ناحية مسلاته ـ ومـوقف على بحيح ـ في ناحية زليطن ـ شبيهاً بموقف عبـد السلام المـريض، وانتهى الكل إلى نتيجة واحدة، هي انسحابهم.

وتقـدم العـدو لجهـة مصـراتـة، ولم يشعـر المجاهـدون ـ في مصـراتة ـ بقـدوم العدو ـ من الجهـة الغـربيـة ـ حتى جاءهم النـذيـر

بخروج العدو عليهم من جهة زليطن، ووصوله إلى حدود مصراتة الغربية.

فأرسلوا خيلهم للاستطلاع، ولمدافعته ريثما يتمكنون من الانسحاب، وتتاح الفرصة لجلاء أكبر عدد ممكن من السكان، الذين رجعوا إليها بعد واقعة العوكلي.

قال الزاوي - في جهاد الأبطال - «أخبرني عون سوف - وهو قائد المجاهدين إذ ذاك - بأن الجيش الإيطالي كان من الكثرة بحيث لوسار في طريقه؛ لما أمكننا أن نقف أمامه، ولما ترك واحداً على قيد الحياة.

وكأن الله صور له أولئك الناس الفارين في عينه جنوداً ومجاهدين خرجوا لقتاله فتوقف عن التقدم.

وتمكنت خيل المجاهدين من مكافحته حتى خرج الناس من مصراتة على طريق كرزاز.

وقد تعقبتهم الطائرات، وأخذت تضربهم برشاشاتها وقنابلها، لا تفرق بين النساء والأطفال - الفارين بحياتهم - وبين المقاتلين له.

وقد أثرت - يوم ذاك - تأثيراً كبيراً، لا سيما في البغال والجمال، التي كانت تحمل أثقال المجاهدين.

وقد اشتركت - في ذلك - قوات الجو والبر، حتى أصبح المجاهدون بين نيران الجيش والطائرات.

وقد استمر المجاهدون في انسحابهم إلى الكراريم، وما وصلوها إلّا بشق الأنفس، وهناك توقفوا بضعة أيام استردوا فيها شيئاً من نشاطهم»[1]. إهـ.

---

(1) ص 358 - 359.

ولما كمل سبتمبر ودخل أكتوبر سنة 1923م أعاد المجاهدون الكرة على الطليان في مصراتة، وصاروا يغزون عليهم، ويناوشونهم فيها.

ورأى الطليان أنهم لم يصلوا إلى نتيجة، وأن عملهم - الذي قاموا به حين ذاك - غير حاسم، مادام المجاهدون يغزون عليهم في مصراتة، ويقلقون راحتهم فيها، وأرادوا أن يستعجلوا المجاهدين قبل أن يستريحوا، ويفتحوا لهم باباً آخر.

ولذلك جهزوا جيشاً كبيراً بقيادة الكولونيل (مَازِيتّي) وكان في ذلك الجيش عدد كبير من الأحباش، والمرتزقة البيض - فرساناً ومشاةً - وصبَّحوا المجاهدين في الكراريم يوم 13 من أكتوبر سنة 1923م.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان، عند واقعة الكراريم -:
«ولم يخف على إبراهيم وعون سوف أن الخصم، بعد أن حطم كل المقومات في غرب وشمال مصراتة، فإنه حتماً سَيُدَاهِمُهُمْ بآلياته وجنده في أية لحظة، فارتدوا عن حصاره إلى بئر الكراريم - المقر الرئيسي للمجاهدين - وابتدؤوا يستعدون للاصطدام به.

فجمعوا له أقصى ما أمكنهم جمعه من القوات المحاربة، وقدرت بحوالي (1200) مجاهداً و(200) فارس، ومن بعض المدافع الرشاشة.

وجعلوا خط دفاعهم الأول عند فندق الجمل، وهو يقع شمال الكراريم على مسافة خمسة كيلو مترات.

وخط دفاعهم الثاني والأهم جعلوه في أرض الكراريم، وامتد طويلاً بين سلسلة الكثبان الرميلة، حافرين فيه كثيراً من الخنادق.

وفي يوم 13/ من أكتوبر سنة 1923م. خرج الكولونيل مازيتّى من مصراتة مع الفجر، قاصداً فندق الجمل بتلك الحملة القوية من الجند ووسائل الحرب.

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً اصطدم بالمجاهدين في فندق الجمل، وجرت بينهما معركة أولية شديدة الصراع والفتك؛ لدرجة حملت العدو أن يجعل طائراته تتدخل فيها بقذائفها، وانهالت فوق المجاهدين، تحرق وتجرح وتميت.

وبسبب هذا الطارىء الجوي على المجاهدين تراجعوا وراءهم إلى الكراريم.

وواصل العدو بعد انسحابهم تقدمه إلى خط دفاعهم الثاني في الكراريم.

وهناك تلقوه مشاة وفرساناً بمواجهة ذات كفاح صارم، وثبات كالصخر، لدرجة أن موقفهم هذا العنيف أحدث تأثيراً في خسائر العدو الفادحة في الأرواح.

وانحطت به المعنويات القتالية لعساكره؛ إلى أن اضطر ـ للمرة الثانية ـ أن يستعمل طائراته، تخفيفاً لضغط الفدائيين عليه.

وعند الظهر مما زاد في حماس المجاهدين ضراوة وعنفاً تشجيع إبراهيم وعون لهم بالكفاح المرير مثلهم ـ وهما في المقدمة ـ ببسالة نادرة، وكانا يحرضان إخوانهما على التسابق للشهادة في معركة ذلك اليوم، حماية للأعراض والكرامة.

ولذلك هانت عليهم نفوسهم، استجابة لنداء البطلين، لا سيما وأنهم قد أحسوا بتفوق العدو، وأن المعركة باتت حاسمة في صالحه.

وقـد سقط من المجاهـدين ـ في هذه الملحمـة الكبـرى ـ نحـو ثلاثمائة شهيد.

وجـرح ـ فيهـا ـ كـل من الفـارسين المغـوارين، إبـراهيـم السويحلي ـ قائد العسكر ـ وعون سوف ـ قائد المجاهدين ـ وعدد كبير آخر». انتهى كلام ابن مسعود.[1]

وبالجملة فمعركة الكراريم ـ هذه ـ قد أكثر فيها العدو من حرب الـطائـرات، حيث استعمـل فيهـا طـائـرات كثيـرة، تسلطت على المجـاهدين من الجـو بقنابلهـا ورشاشـاتها ـ وهـم مشتغلون بمقـاومـة جيشه، الـذي جـاءهم في الأرض ـ حتى قضت على ما بقي لـدى المجاهدين من إبل، وخيل، وبغال، ومدافـع، ورشاشـات، ورجال، وبسببها رجحت كفة انتصار العدو.

ولم تفقد مصراتة ثلاثمـائة رجـل في معركـة واحدة إلاّ مـرتين، وهما: أولى معركة وهي يوم احتـلال المواطين، وآخـر معركـة، وهي معركة الكراريم.

وقـد استشهـد فيهـا ـ من كبـار المجـاهـدين ـ الفقيـه علي المستري، وأحمد أبوطلاق، وأحمد التيهامي اقليصة.

وبهـا انتهت معارك المجـابهة، ولم يقـع ـ بعـدهـا ـ إلاّ حـرب المناوشات.

---

(1) ص 305 وما بعدها.

ملحق لمعركة الكراريم

ولما استنزفت معركة الكراريم أكبر طاقات المجاهدين البشرية، القادرة على تحمل أعباء الكفاح؛ لما حصل فيها من كثرة الشهداء والجرحى، والضياع في الحيوانات، التي كانت تحملهم، وتحمل أثقالهم.

كما استنزفت منهم ـ أيضاً ـ معظم كميات الأسلحة والذخائر، التي غنمها المجاهدون من الطليان يوم الرميلة، ويوم سبخة أبي فار، وكانت مودعة في عبد الرءوف.

رأى إبراهيم السويحلي، وأركان حربه أنه لا فائدة للبقاء في مواجهة عدوهم القوي، وهم على هذا الوضع السيء.

فلذلك غادروا ـ إثر انسحابهم من معركة الكراريم ـ جميع أراضي مصراتة في الليلة التي بعد المعركة، ومضوا إلى السدادة.

ولما وصلوا السدادة أخبروا بما وقع في الكراريم؛ فصارت الناس في أسف وحزن شديدين.

وفي يوم 20/ أكتوبر سنة 1923م، اتضح فشل المساعي التي قررت في مؤتمر السدادة العام، وانسدت الأبواب أمام حكومة مصراتة في السدادة، بعد أن قرعتها بَاباً بَاباً، وانقطع الرجاء من تكوين جبهة تقف أمام العدو، وصارت الأفكار في بلبلة وحيرة، وانفسح للعدو الغاشم المجال.

قال ابن مسعود ـ في تاريخ رمضان: «وعلى الرغم من عدم نجاح تلك المساعي، فإن إيطاليا علمت بها في حينها من عملائها الجواسيس.

فخوفاً من أن تنجح تلك المساعي ضدها فيما بعد، استعجلت التنفيذ لاحتلال السدادة، ثم بني وليد.

يدلنا على ذلك ماجاء ـ بهذا الخصوص ـ في معجم المعارك (ص 276) إذ قال ـ عنها ـ مانصه: «ولم يطمئن المستعمرون إلى وجود المجاهدين في هذا المركز (يقصد السدادة)، ولم يرتاحوا إلى النشاط السياسي الذي كان يبذل في تلك المرحلة؛ لتصفية الجو بين زعماء مصراتة وورفلة، في محاولة لتكوين جبهة جديدة في هذه المنطقة؛ للتصدي للزحف الإيطالي.

فلذلك صدرت التعليمات إلى القيادة العسكرية بالتحرك نحو معسكر السدادة لتدميره.

وقد وضع (مازيتّي) الخطة على أساس المباغتة، والهجوم التطويقي من الشرق والجنوب؛ حتى يفوِّت على المجاهدين فرص التوغل في أراضي ورفلة، أو النزوح إلى منطقة سرت.

وفي يوم 22/ ديسمبر سنة 1923م، فوجىء النازلون بالسدادة باقتراب الجيوش الإيطالية إليهم بقيادة (مازيتي).

ولحصول هذا الزحف على الحكومة والناس بغتة؛ فطلباً للنجاة بأنفسهم، تركوا كل شيء يقتنونه في محله، وفرت النساء والأطفال والعاجزون من الشيوخ والمرضى، هائمين في الصحراء على وجوههم.

وأما الجند والرجال المسلحون ـ وأغلبهم ممن حضروا معركة الكراريم، ولا يزالون بها مرهقين، أو ذوي جروح طفيفة ـ فقد

توزعوا - تحت قيادة إبراهيم - على امتداد جبهة العدو نحوهم، ودارت لهم معه آخر معركة فدائية حامية النيران في تاريخ الجهاد الطرابلسي جنوباً.

وحين أدرك إبراهيم استحالة المقاومة بعدده الضئيل - وكاد العدو أن يطوقه ويؤسره، ويؤسر أتباعه - ترك منهم - في مشاغلته - لفيفاً، ممن تقدموا لهذا الفداء، وانسل بأخوانه الباقين - كلمح البصر - قاصدين تنظيم مقاومته في سرت، كما قصدها - أيضاً - بعد الفرار من السدادة - زعماء مصراتة، وترهونة وغريان، وغيرهم، وعلى هذا الوصف احتلت السدادة، وانتهت المقاومات الحادة في طرابلس.

وكان من أثر هذه المباغتة لهجوم العدو على السدادة، ونجاة الناس منه بأنفسهم، بسبب الفرار على وجوههم في الصحراء، أن لحقت بالمجاهدين أفدح الخسائر، التي لم يصابوا بمثلها من قبل في السلاح، والذخائر، والمؤن.

فمن ذلك ماجاء في نحو فزان (ص 216) من قوله: «تَمَّ الاستيلاء على ثلاث قطع من المدفعية، وعلى مستودع صغير للمؤن والأقوات والمهمات من مختلف الأنواع، وعدة آلاف من الماشية.

ولا يخفى أن وقوع هذه الغنائم الكبيرة في يد العدو، ناجم عن انعدام المقاومة العنيفة لزحفه على السدادة، وعن الفرق الشاسع بين الكثافة الهائلة لجنده الغازي، ومالديه من وسائل الحرب الفنية الحديثة، وبين ضآلة قوات العرب الجهادية المتصدية له؛ إذ استمرار المجاهدين - كما تقدم - اثنى عشر عاماً على نضاله قد استنزف جميع امكانياتهم المادية والاجتماعية المحدودة، ولولا أنهم كانوا مدتها يحاربونه بالكثير من نفس سلاحه التي كانوا قد غنموه منه في

معاركهم معه؛ لما بقوا مستمرين على نضاله إلى موقعة السداد». انتهى كلام ابن مسعود.[1]

ما ترتب على مفاجأة العدو للسدادة

ولما فرَّ الناس من السدادة، وثمد أبى خطوة، وماقاربهما؛ طلباً للنجاة من جيش الطليان الغازي - الذي فاجأهم فيهما بغتة - لم ينقلوا شيئاً معهم، بل خرجوا من منازلهم - جرياً على أقدامهم - وتوزعوا في جبال وادي نفد، والوزغة، والمخرم من أراضي ورفلة الجنوبية.

وهم في حالات يرثى لها من بكاء الأطفال، وسفور المخدرات، واضطراب الرجال، وفراغهم من كل شيء؛ بسبب ذلك الهجوم المباغت من العدو الغاشم.

واستولى العدو على مافي مخيماتهم، من طعام جاهز، وقمح وشعير، وملابس، وأثاث، وأوان، وأوعية للماء وغيره، وحيوان.

وقد قام نحوهم البعض من أبناء ورفلة - في تلك الجهات - بمروءة كبيرة، وشهامة عالية يستحقون من أجلها الثناء الجزيل؛ إذ أسعفوهم بإبل النقل، والماء والأغذية، وبضروريات أخرى للسفر.

ثم تفرقوا وذهبوا إلى مذاهب شتى، فمنهم فريق هاجروا لتونس، على طريق غدامس، ومنهم فريق هاجروا لفزان؛ للالتحقاق بخليفةالزاوي حاكم مرزق، ومنهم فريق غادروا السدادة بأسرهم في فجر يوم 22/ ديسمبر سنة 1923م - قبل مفاجأة العدو لها بساعات - ونزحوا إلى منطقة سرت، ومن هذا الفريق أحمد بك السويحلي،

---

(1) ص ٣١١ وما بعدها.

وأتباعه من مصراتة، وأحمد بك المريِّض، وأتباعه من ترهونة، ومختار بك كعبار، وأتباعه من غريان، والشيخ محمد سوف، وابنه عون، واتباعهما من صرمان.

ولم تكن سرت محتلة حين ذاك؛ فأقاموا فيها بعائلاتهم مدة قليلة، ريثما هدأ روعهم.

ولما بلغهم أن الطليان احتلوا بني وليد يوم 27/ ديسمبر سنة 1923م - أي بعد احتلال السدادة بخمسة أيام - وأنهم عما قريب سيتجهون نحو سرت وفزان، قرروا الهجرة إلى مصر، وشرعوا في السير إليها على طريق برقة.

ومنهم فريق فقراء لم تكن لديهم مقومات الهجرة؛ فأخذوا الأمان من الطليان، ورجعوا لأوطانهم، وهم الأكثرية الساحقة، والسواد الأعظم، الذين قد شملهم كلام حياة المرحوم حسين الحطبة - في أبياته الشعرية من الزجل الشعبي - حين قال:

فِي ثَمْدْ بُو خُطْوهْ قِصْرتْ الْخُطْواتْ * وفي السّـدادهْ انْسدّتْ الأبْـوَابْ

وَفِي نَفَـدْ نفـدتِ الأقْـواتْ * وجـا للنّـاسْ الشّـرْ والأتْعـابْ

وَاللّي يَـرْجـعْ ويقـرْ بـالْغَلْبـاتْ * خيْرْ مِنْ يضِيعْ في صَحْرة الأذيابْ

تتمة المرحلة الثالثة

وعلى رغم ماخلفته واقعة الكراريم، ومفاجأة العدو للناس في السدادة؛ فإن رجال مصراتة لم يتركوا الحرب والدفاع عن الوطن، بل لما انسحب - بهم - إبراهيم بن رمضان من مقاومة الطليان في السدادة، وسار إلى أرض سرت أراد أن ينظمهم لمقاومة الطليان - هناك - بدليل أنه لما وصل إليه فريق المهاجرين - الذين قرروا الهجرة

إلى مصر على طريق برقة، ومنهم عمه أحمد السويحلي ـ سايرهم، وحافظ عليهم، ومشى معهم إلى العقيلة، وقيل إلى سيدي بشر.

وهناك صارح عمه أحمد، وطلب منه الرجوع إلى سرت لمواصلة الكفاح ضد الطليان.

ولما لم يوافقه عمه، قام وركب جواده، والتفت إلى عساكره، وقال لهم: «أيها الإخوة، من كان منكم يريد الهجرة إلى مصر فليذهب مع هؤلاء، ومن كان يريد ـ مثلي ـ أن يناضل عدو الله إلى الظفر بالاستشهاد؛ فليتبعني».

وأدار جواده غرباً نحو سرت، فتبعه جميع أفراد العسكر النظاميين، وكذلك المجاهدون الشبان العزاب.

ولما وصل ـ هو وجنوده ـ إلى سرت، وجد فيها أحمد سيف النصر؛ فتحالف معه ضد إيطاليا، وصارا يناوشانها في وادي زمزم، وغنما منها ـ هناك ـ أسلحة، وأشياء متنوعة.

ولكن لم يمكثا على هذا الوفق وقتاً طويلاً، بل حصل بينهما شقاق؛ بسبب إحدى الغارات.

فترك أحمد سرت ـ لإبراهيم ـ وذهب إلى الجفرة، وهي سوكنة، وهون، وودان، وزلة.

وبقي إبراهيم في سرت، فتحرج موقفه؛ لبقائه وحده ـ في منطقة سرت ـ بقوة ضئيلة من المجاهدين الفدائيين، من غير أن يكون له حليف، يسانده في مواجهة الطليان، الذين ـ من غير شك ـ سيقدمون نحوه.

وقد علم الطليان ببقائه وحده في سرت؛ فراسلوه خدعة؛

ليتمكنوا من مباغتته ـ هناك ـ والغدر به، كما هي عادتهم المألوفة في حروبهم الاستعمارية.

وفعلاً فقد جاءه الخبر يوم 22/ نوفمبر سنة 1924م، بأن الطليان وصلوا في زحفهم شرقاً إلى بويرات الحسون، الكائنة غربي سرت بنحو خمسين كيلو متراً تقريباً.

فلم ينزعج هو ولا إخوانه من قدوم العدو نحوهم.

وفي يوم 23 نوفمبر دخل العدو عليهم في سرت، فناوشوه فيها قليلاً، ولعجزهم عن مقاومته تأخروا إلى قصر أبي هادي شرقي سرت، وظنّوا أن العدو سيتمهل في سرت يومين أو ثلاثاً.

ولكن قال غرسياني ـ في كتابه نحو فزان: «وفي اليوم نفسه، دون أن يضيع الكولونيل مازتي وقتاً بارح سرت، ووصل بعد زحف مجهد إلى قصر بوهادي، عند الغروب، وانقض على معسكر الثوار (أي المجاهدين)، وكانوا مشغولين بإعداد طعامهم، ونزل بهم الفزع من هول المباغتة، فهرع بعضهم إلى السلاح، وسرعان ما تم قتلهم، وأما الآخرون ـ ومن بينهم إبراهيم الشتيوي ـ فقد أرادوا النجاة بأنفسهم، فنجوا بالفرار»[1] اهـ.

وقال في معجم المعارك مانصه: «وكان المجاهدون قد تحولوا إلى سرت، حيث يتولى إبراهيم الشتيوي قيادة محلة تتألف من (500) خمسمائة مسلح تقريباً.

وقد قام الإيطاليون بتشكيل قوة تتألف من (3200) مسلح

---

(1) ص 271.

و (50) ضابطاً؛ لمواجهة تلك القوة من المجاهدين، الذين لجؤوا إلى سرت عقب معركة السدادة.

وركّز الإيطاليون قوتهم ـ في المرحلة الأولى من هذا الزحف ـ في بويرات الحسون، التي جعلوا منها قاعدة رئيسية لعملياتهم الحربية.

وتمكنوا يوم 23 نوفمبر سنة 1924م من الاستلاء على سرت، بعد معركة قصيرة، وتحولوا على إثرها إلى مهاجمة الثور (أي المجاهدين) في قصر أبي هادي، حيث جرت ـ في الموقع ـ معركة بين الطرفين، وكانت الغلبة فيها للقوة العَددية والعُددية.

واستولى الجيش على كثير من الأسلحة التي كانت بيد الثوار (أي المجاهدين) خاصة تلك التي كانت مخزونة في سرت.

وتشير المصادر الإيطالية إلى أنه قد استشهد في هذه المعركة مايقرب من (47) سبعة وأربعين مجاهداً.

وكانت هذه المعركة هي آخر المعارك التي جرت في المنطقة الساحلية من إقليم طرابلس.

ثم تابع غرسياني كلامه الأول، على فرار إبراهيم من مباغتة مازيتي له مساء في قصر أبي هادي.

وقال ـ عن كيفية مصرعه ـ مانصه: «وقد تقهقر عن قصر أبي هادي ـ يتبعه عدد ضئيل من المسلحين ـ إلى حيث يوجد سيف النصر ـ عشية ـ الند للند لا كضيف.

ووقعت له بعض الأكدار اضطر إلى الفرار لفزان، يتبعه أخلص رجاله، ولحق به رجال سيف النصر المسلحون في مضيق بئر قرباز،

المعروف باسم الرواغة ـ وهو طريق إلى جبل ودان غير مأمون ـ فغدوروا به، وخرَّ صريعاً أثناء القتال، وكان ذلك يوم 19/ مارس سنة 1925م.

والمفهوم من روايات متواترة أن إبراهيم ـ بعد أن ترك الجفرة ـ كان يريد الذهاب لخليفة الزاوي، حاكم مرزق.

ولكن عندما جاء لسيف النصر في الجفرة بقوته الصغيرة، ومعها أسلحتها، وقطعتان من المدفعية ورشاشة، خاف منه سيف النصر على نفسه أن يلتف حوله المعجبون بشجاعته، والمقدرون له على شرف أسرته، وجهاد أبيه، وأن يتحالف مع خليفة الزاوي ضده؛ فينزعوا منه النفوذ والحكم بالجفرة، ومنطقة فزان.

ولذلك لما رفض إبراهيم أن يسلمه سلاحه، ويترك له جنده ـ الذين معه ـ ويذهب بمفرده إلى خليفة بمرزق، دبَّر له مكيدة اغتياله.

وقد قتل معه من بقي له من الفدائيين الأوفياء له ولزعامته وقيادته، كما قتلوا ـ هم ـ كثيراً من رجال أحمد سيف النصر». هذا مانقله ابن مسعود من نحو فزان وغيره[1].

والذي رويناه عن الضابط علي بن أحمد القن ـ وقد كان من أنصار إبراهيم، ومن المقربين إليه ـ وكذلك عن غيره ـ ممن حضر مع إبراهيم في الرواغة ـ أنهم لم يمت منهم إلاّ إبراهيم واثنا عشر من أتباعه.

وأما الباقون فقد بقوا أحياء، ولم يتابعهم أتباع سيف النصر؛ لاحتمالين:

---

(1) رمضان السويحلي. انظر ص 318 وما بعدها

أحــدهمــا ـ أن سيف النصــر لم يكلفهم إلاّ بــالقضــاء على إبراهيم؛ ولذلك لما تحققوا اصابته وموته تركوا المتابعة.

والثاني ـ أن زمام السيطرة انفلت منهم؛ بسبب خروج جميع أتباع إبراهيم من مضيق الرواغة، قبل انتشار ضوء الصبح، ولما انتشر ضوء الصبح نظر أتباع سيف النصر في أنفسهم، فوجدوا أنفسهم أنهم قد مات منهم خلق كثير، وأن من بقى منهم على قيد الحياة لم يزد على عدد أتباع إبراهيم الباقين على قيد الحياة أيضاً، وأن سلاحهم كله بنادق، وأن أكثرهم غير مدرب على القتال تدريباً عسكرياً، ونظروا في أتباع إبراهيم فوجدوا أن كل ماأطلقوا عليهم من رصاص ـ في ظلام الليل من رؤوس تلك الجبال ـ لم يؤثر فيهم إلاّ تأثيراً قليلاً، ولم يمت منهم إلاّ عدد ضئيل جداً، وأنهم عسكر مدرب على القتال، وأنهم يمتلكون الرشاشة، التي أطلقها إبراهيم عليهم قبل اللحظة التي سقط فيها صريعاً، وقد صرع منهم بها عدداً كبيراً، وخرّ صريعاً بطلقة نارية من واحد منهم.

فتحققوا أنهم لم ينجحوا في متابعتهم لوتابعوهم؛ ولذلك تركوا متابعتهم، ورجعوا لصاحبهم.

ومضى أتبـاع إبـراهيم في طـريقهم، ولمـا بَعُـدوا عنهم تـركـوا الاتجاه لجهة فزان، واتجهوا لجهة برقة.

وســاروا إلى أن وصلوا إلى معسكــر السيـد عمـر المختـار في الجبل الأخضر، وانضموا إليه بنية الجهاد في سبيل الله.

ومنهم من بقي معــه إلى أن قبض عليــه الـطليـان، وشنقـوه، وانقطعت المقاومة في جميع أنحاء ليبيا، من حدود السودان ومصر

شرقاً، إلى حدود تونس والجزائر غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود النيجر وتشاد جنوباً.

ومما تقرر يتضح أن المرحلة الثالثة كانت أصعب المراحل في الجهاد الليبي، وأن الحرب فيها تنوع إلى حرب معارك، وحرب مناوشات، وأن القيادة فيها قد تعددت فقد قاد معاركها سعدون السويحلي إلى أن استشهد في معركة المشرك، ثم قاد معاركها إبراهيم بن رمضان إلى أن نفذ منه في معركة الكراريم مايقدر به على خوض المعارك والمجابهة، ولم يبق عنده إلاّ مايقدر به على حرب المناوشات، إلى أن قتل ظلماً وغدراً في الرواغة.

ثم قاد بقية مناوشاتها السيد عمر المختار، إلى أن قبض عليه الطليان وشنقوه.

خاتمة المراحل الثلاثة

قد علم مما ذكرناه ـ في المراحل الثلاثة ـ أن جملة المعاركة الكبيرة التي خاضها المصراتيون على انفرادهم في محاربة الطليان ست عشرة معركة، وأنها على الترتيب الذي ذكرناه، والتفصيل الذي فصلناه زمناً وصفة.

وأما الأعمال الفدائية والمناوشات فهي كثيرة لا يحصيها عدد.

وقد شهد بذلك الطليان أنفسهم، كامياني، وكونتي فولبي، وغرسياني، وغيرهم.

ولذلك قلت:

مِصْـرَاتَـةُ ذَاتُ الـرِّمَـالِ بِـلَادِي * قَـدْ جَـاهَـدَتْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَاد

شَهِـدَتْ لَهَـا إِيـطَالِيَـا وجُنُودُهَا * والْحَقُّ مَـا شَهِـدَتْ بِـهِ الأعَـادِي

قَـدْ حَـارَبَتْ فِي لِيبِيَا مِنْ غَرْبِهَا * حَتَّى إلى الشَّـرْقِ بِـدُون هَـوَاد

وَصَحَائِفُ التَّارِيخِ قَدْ حَفِظَتْ لَهَا * أَسْمَى جِهَـادٍ رَغْم كُـلِّ مُعَـاد

مَـا كَـانَ يَخْفَى حَرْبُهَا وجِهَادُهَا * إلَّا على وَغْـدٍ مِن الأَوْغَـاد

فالمصراتيون لم يتركوا جهة من جهات ليبيا إلّا دافعوا دونها،

ولا يوجد مرتفع من أرضها ولا منخفض إلاّ ولهم فيه دم مهرق، أو جسد ممزق.

وقد حفظ لهم التاريخ في صفحاته من الجهاد المقدس، مالم يحفظه لغيرهم.

وقد خاضوا تلك الحرب على رضى منهم، وطيب نفس، دفاعاً عن وطنهم، وذوداً عن كـــرامتهم، لا ينتـــظرون من وراء ذلـــك إلاّ ماأدخره الله لهم، من ثواب المدافعين عن أوطانهم ودينهم والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

فائدة: في وقوف مصراتة ضد الجنسية

وسببها أن الطليان لما احتلوا ليبيا، وتَمَّ لهم الأمر فيها كذبت عليهم أنفسهم، حتى أرادوا أن ينصّروا أهلها ـ كما نصَّر الأسبان أهل الأندلس ـ وبدؤوا يجسون الناس في أولادهم، فألزموهم بتعليم أولادهم في المدارس الإيطالية، وبإدخالهم في عسرك الْباليلّى، وبضرورة حفظهم لقصيدة شباب اللِّيتُورْيُو الفاشستي، ـ التي تتضمن إقرارهم واعترافهم بأنهم أبناء روما ـ وهي:

يَـــاشَبَـــابــاً يَــاشَبَــابَــا * يَــــارَبِيعــــاً مُسْتَـــطَابَـــا

أَلْعَنَـــا وَالْكَـــرَ تَـــابَـــا * نَـــــالَـــــكَ اللَّهُ الْخُلُودْ

إِنَّنَـــــا أَوْرَاقُ دَوْحَـــــــةْ * غَضَّـــةٍ طَـــرَتْ وَمَـــرْحَـــةْ

إِنْ سَقَـــطْنَـــا قَبْـــلَ رَوْحَـــةْ * فَهِيَ تَبْقَى لِـــــلأَبَـــــودْ

لَيْسَ لِلدُّنْيَـــــا قَـــــرَارٌ * حَـــادِثَـــاتٌ وَفِـــرَارٌ

وَتَـــــرَقٍّ وَغِمَـــــارٌ * تَنْــــطَوِي طَيَّ ثَمُـــــودْ

غَيْـــرَ رُومَـــا لاَتَـــوَانَى * إِنْ تُسَـــالِمْ أَمْ تُشَـــانَـــا

رُومَـــةٌ تَـــأْبَى الْهَـــوَانَـــا * نَجْمُهَـــا يَـــأْبَى الْخُمُـــودْ

إِنَّنَـــا أَبْنَـــاءُ رُومَـــا * جُنْـــدُهَـــا نَحْنُ الْقُـــدَامَـــا

قَـــدْ سَغِيْنَـــا أَلْفَ عَــامَـــا * ثُمَّ عُـــدْنَـــا لِلْعُهُــودْ

لاَ رُجُـــوعَ لاَ هُـــوَيْنَـــا * فِي طَـــرِيقٍ قَـــدْ بَنَيْنَـــا

بِحِجَـــارٍ وَدِمَـــانَـــا * وَالْـــوَرَى طُـــرًّا شُهُـــودْ

ثم شرعوا في جبر الناس الكبار ـ من أهل الشعب الليبي ـ على التجنس بالجنسية الوطنية الإيطالية، المسماة ـ عندهم ـ (بِالشُّتَّادِينَانِسَهْ).

وهـدَّدوهم بالنفي في واو حريرة، لكل من يمتنع عن التجنس بها.

ولما طلبوها من أهالي مصراتة، وانتشر أمرها بين أبناء البلاد، تمسكوا بأن الإنسان لا يجوز له أن يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه، والتجنس المذكور لم يتبين لهم فيه حكم الله، فلا يجوز لهم القدوم عليه.

ووقفوا ضد ذلك وقفة شديدة صلبة بشجاعة وحماس، حتى أظهروا غضبهم على الطليان، واستعدادهم للتضحية والنضال.

وبارحوا الساحة، التي جمعهم فيها نائب الوالي ـ المسمى بِالْبِرَفِيتُّو ـ أمام قصر الحكومة بمصراتة؛ للتفاهم معهم في شأنها.

بل وصلوا إلى الهتاف بسقوط إيطاليا الاستعمارية، وحياة ليبيا العربية.

وشاع أمر تلك المحاولة، وانتشر في الخارج، وامتلأت الصحف بالكتابة عليها، وبالتشنيع على الطليان في طلبها.

حتى أعرضوا عنها، وأنكروا صدورها من حكومتهم، وصاروا يعتذرون عنها في الصحف، بأنها إنما وقعت من بعض حكام

المناطق، من غير أن تطلبها الحكومة، أو توافق عليها.

وسكتوا عنها، وصاروا يتدبرون في مكيدة لتنفيذها، وللانتقام من مصراتة التي عارضتها.

ولكن الله عجل بالانتقام منهم، وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾.

فانتشبت - لهم - الحرب العالمية الثانية، وألهتهم عن جميع المكايد.

وتحالف فيها موسوليني مع الألمان واليابان ضد الحلفاء الآخرين، الذين أدخلوا - في حلفهم - بقية الشعوب ضد ذلك الحلف الثلاثي، ومن جملة من دخلوا في هذا الحلف ليبيا برئاسة إدريس السنوسي.

وأعلنت تلك الحرب، وقامت على ساقها قبل تمام الحول.

وقد أحضر الطليان فيها - على الحدود المصرية؛ لاحتلال مصر - جيشاً، قدر بمليون جندي، مجهزين بأحدث آلات الحرب، من أسلحة ومدافع ودبابات وطائرات وسيارات، وغير ذلك من وسائل الحرب والدمار.

وبدؤوا فى تهيئة أنفسهم للزحف عليها، حتى فاجأهم الحلفاء بمعركة العلمين الشهيرة، التي أهلكت الطليان، ودمرتهم تدميراً كاملاً.

وأصبحوا بعدها كالقمَّار، الذي قامر بجميع مايملك، وخسر لعبة المقامرة.

فقد قتل فيها - من جيشهم - مالايقل عن نصف مليون جندي،

وأسِّر فيها ـ منهم ـ مالايقل عن ربع مليون، وشرِّد في الصحراء ـ ربعهم الرابع.

وهلكت ـ فيها ـ جميع أسلحتهم، ومدافعهم، ودباباتهم، وطائراتهم، وسياراتهم.

حتى صار من بقي من فلولهم حيا، ونجا من الأسر، لا يجد سيارة يركبها، أو يحمل عليها متاعه.

بل لما تجمعوا ـ بعد نجاتهم بالفرار ـ حملوا أثقالهم على ظهورهم، ودخلوا الطريق الساحلية، وصاروا يمشون فيها على أرجلهم، ويدبون معها كالجراد الصغير، الذي يزحف على الأرض، المسمى ـ في لغة أهل ليبيا العرفية بـ (ـالدبنون).

ولا يمرون ببلد إلاّ وتبقى الطريق مزدحمة بهم ـ كازدحام طريق النمل ـ ليلاً ونهاراً مدة عشرة أيام.

ولما سمعتُ بوصولهم إلى البلدة التي كنتُ مقيماً بها لطلب العلم في ذلك الوقت ـ وهي زليطن ـ خرجتُ لمشاهدتهم، وجلستُ خلف التجار، الذين مكثوا على ضفة الطريق، وصاروا يبيعون لهم التمر والماء.

وصرتُ انظر في سمات وجوههم ـ وعلى ظهر كل واحد منهم حمل حمار من الأدباش ـ وفي تهافتهم على شراء التمر والماء ـ وهم يتزاحمون عليهما كتزاحم الغنم العطشى على حوض الماء يوم الحر الشديد ـ وفي جلودهم ـ التي تتصبب عرقاً في الشتاء البارد ـ وفي أرجلهم ـ التي أكثرها حافية مشقّقة، والدم يرشح من شقوقها، من كثرة المشي.

وصرتُ أفكر في أحوالهم، وخطر ببالي ماوقع لنا منهم عام هجرة السدادة.

وجاء قبالة عينيَّ جميع ماجرى للناس من تعب وكدر في ذلك العام، الذي خرجنا فيه من بلادنا إلى أسيوطة، وتاجموت وأم العرفج، والسدادة، فراراً من جيشهم الغازي المتسلط، وهو عام 1923م، إذ أنا فيه ابن تسع سنين، فتصور كل ما وقع فيه تفصيلاً.

فقلتُ: سبحان الله! ربنا جازاهم بنفس العمل الذي وقع لنا منهم عام هجرة السدادة، جزاء وفاقاً، وشرع لساني في أبيات شعرية، تبرهن على ماكان يكمن في قلبي نحوهم، وهي:

عَدُوَّ اللَّه قَدْ أَصْبَحْتَ تَجْرِى * وَلاَ تَدْرِي وَلاَتَأْتِي بِفِكْرِ

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ * يُجَازِي كُلَّ ذِي ظُلْمٍ وَمَكْرِ

فَلَيْسَ جَزَاءُ مَا اكْتَسَبَتْ يَدَاكَ * سِوَى نَارٍ تُطَهِّرُ مِنْكَ بَرِّي

وَقَدْ آنَ الأَوَانُ فَفِيكَ شَاطَتْ * حُرُوبُ أَلْجَأَتْكَ إِلَى الْمَفَرّْ

وَقَدْ هُزِمَتْ جُيُوشُكَ بِانْهِيَارٍ * فَظِيعٍ جَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ كَسْرِ

فَأَفْلَت بَعْضُهُمْ ـ وَلَهُ حُصَاصٌ * وَبَعْضٌ مَاتَ، وَالْبَعْضُ بِأَسْرِ

وَصِرْتَ تَجُرُّ أَذْيَالَ الْهَزِيمَهْ * بِكَسْرٍ لَمْ تُضَمِّدْهُ بِجَبْرِ

وَتَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِكَ مَاحَمَلْنَا * بِهِجْرَتِنَا عَلَى رَأْسٍ وَظَهْرِ

فَنَحْمَدُ رَبَّنَا لَمَّا رَأَيْتُكْ * بِعَيْنِي الآنَ فِي ذُلٍّ وَقَهْرِ

زَعَمْتَ بِأَنَّ وَصْفَكَ وَصْفُ لَيْثٍ * وَوَصْفُكَ ـ فِي الْحَقِيقَةِ ـ وَصْفُ فَأْرِ

وَقَدْ كَذَبَتْ عَلَيْكَ النَّفْسُ حَتَّى * غلطْتَ وقَدْ طَمِعْتَ بِفَكِّ مِصرِ[1]

---

(1) المراد بها: مصر، القطر المعروف ـ وقرئت بالكسر لأجل الروى.

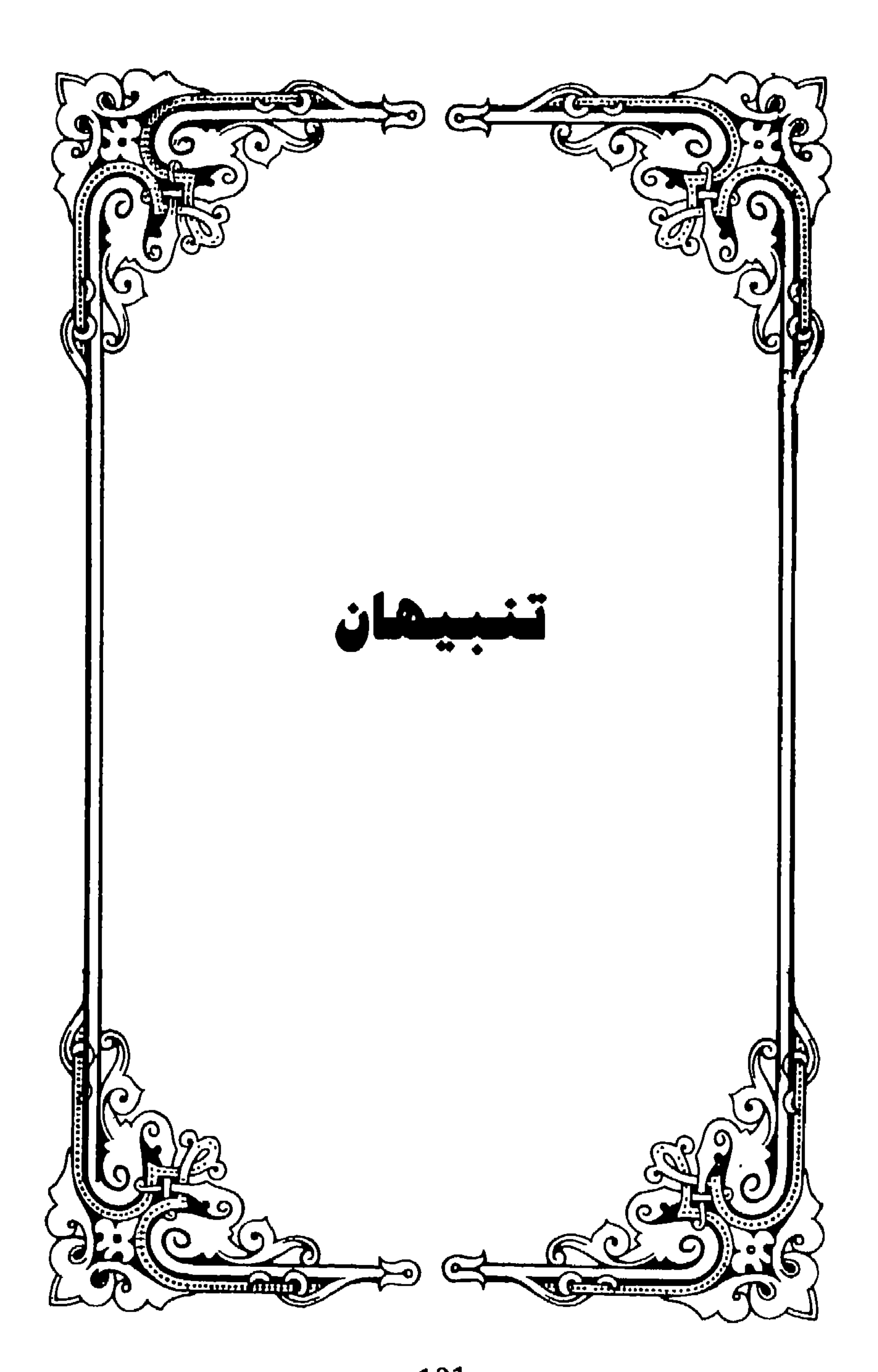
وَجَــرُكْتَ الْأَسُــودَ إِلَيْـكَ حَتَّى * أَتَــوْكَ وَلاَ نَجَــاةَ سِــوَى الْمَفَــرُّ

فَسِــرْ لإِطَـالِيَـا، وَمِنَ الْغَنِيمَـهْ * تَعَــوَّضْ بِــالْإِيَــابِ إِلَى الْمَقَــرُّ

أَقُولُ لَكَ ارْتَحِلْ وَاتْرُكْ بِلاَدِي * عُمُــومـاً وَاخْــرُجَنْ مِنْهَـا بِــذُخْرِ

وَفِــرَّ بِحَسْــرَةٍ وَاذْهَبْ بِخِـزْيٍ * كَمَــا ذَهَبَ الْحِمَــارُ بِــأُمِّ عَمْــرِو

فَــلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَـعَ الْحِمَـارُ * وَأَنْتَ فَــلاَ رَجَعْتَ لِيَــوْمِ حَشْــرِ



تنبيهان

التنبيه الأول:

في فظائع الاستعمار الإيطالي في ليبيا

صفحة من التاريخ ضاقت بما اشتملت عليه من حوادث وعبر، وقعت من دولة ﴿طغت في البلاد، فأكثرت فيها الفساد، فصب عليها ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد﴾.

وللدول ـ كما للأفراد ـ أعمار لها بداية ونهاية، وفيما بينها يسجل التاريخ (لها ماكسبت، وعليها مااكتسبت).

وللتاريخ ـ في صحائفه ـ نظرات عادلة، يقيم من أجلها موازين القسط؛ (لتجد كل دولة ماعملت من خير محظراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً).

وسيجد القارىء للتاريخ في صفحات دولة الروم ماتَسْوَدُّ الوجوه لفظاعته وبشاعته، وماتبرأ منه الإنسانية جمعاء، بل حتى الوحوش في آجامها.

ولقد كان لهذه الدولة ـ في ليبيا ـ عمر قليل السنوات، كثير السيئات، لم تخل ساعة منه من ألم ممرض، أو إهانة تنفذ إلى أعماق النفوس؛ فتذيبها حسرة.

لذلك كانت كل ساعة من هذا العمر القصير، لا تقل في طولها عن سنة.

فقد حكمتها ثلاثاً وثلاثين سنة بيد من حديد، ونار تحرق حيثما لمست، بقلوب انتزعت منها الرحمة، حتى أصبحت لا تألف إلاّ الشر، ولا تستريح إلاّ للتعذيب والقتل.

فقد كان غرسياني يخرج بالمصفحات، وعليها المدافع الرشاشة، إلى سكان البادية، فينصبها عليهم، ويرميهم بالرصاص حتى يبيدهم.

ثم يأمر المصفحات أن تمر على القتلى والجرحى، وفيهم النساء والأطفال، وتكرر المرور عليهم، ذهاباً وإياباً، حتى تختلط أجسامهم بالتراب.

وكانوا يشدون الرجال في الحبال والسلاسل بالعشرات، ثم يأمرون بضربهم بالرصاص، حتى لا يبقى منهم أحد.

ويرمونهم في البحر أحياء، فتمضي بهم الأمواج حتى يموتوا غرقاً، ثم يقذف البحر جثثهم، وهي مكبلة في السلاسل.

وكانوا يصلبون النساء عاريات ـ إي والله عاريات ـ أمام أهلهن، وبحضور ألوف من الناظرين، إرهاقاً لشعور الليبيين، وإمعاناً في النكاية بهم.

وكانوا يغرزون الرجل، والرجلين، والثلاثة في الأرض، ويجعلونهم في محل الهدف الذي يرمى إليه ـ كالغرض المسمى بالنيشان ـ يتسلى الجنود والضباط برميهم بالرصاص.

وقد فعلوا ذلك بكثير من الناس في (قوز التِّيكِ) بمصراتة.

وكانوا يدخلون على الأسرة في بيتها، فيقتلون رجالها، ونساءها، وأطفالها عن آخرهم، ويرمون جثتهم في بئر المنزل أو صهريجه، ويصبون عليهم البنزين، ويطلقون فيهم النار حتى تأكلهم، ثم يطم عليهم ذلك البئر أو الصهريج.

وقد فعلوا ذلك بعائلة السيد فيدان، المعروفة بعائلة ماطوس بمصراتة أيضاً.

وكانوا إذا شكى الرجل من أخذه في الجندية؛ لأنه كبير السن، وله طفل صغير يحتاج إلى رعاية، أتوا بذلك الطفل وقتلوه بالرصاص أمام عينيه.

وكانوا ـ أيضاً ـ يصادرون الأملاك من أربابها الشرعيين ـ بدون ثمن ـ ويعطونها للطليان، ينعمون بخيراتها، ويموت أهلها الليبيون جوعاً في جوارها.

وكانوا إذا اشتكى لشرطتهم ليبي من إيطالي ظلمه، لا يأخذون له حقه من الإيطالي، بل يقولون له: اذهب لاحق لك، فأنت (اندجني) أي عبد لإيطاليا وأولادها.

هذه المظالم المميتة ـ التي كان الطليان يعدونها من مفاخر حكمهم في ليبيا ـ قابلها الليبيون بكل صبر.

ونالت من دمائهم وكرامتهم، ماتعجز الجبال عن حمله، وانطوت جوانحهم على مرارة، كانوا يفضلون من أجلها الموت في أبشع صورة، على الحياة مع الطليان.

ودولة تأتي بمثل هذه المنكرات، راضية بها نفوس عظمائها وملوكها، لاشك أنها تتحدى نواميس الحياة، وسنن الكون، وتحاول

الحياة من طريق لا تؤدي إلاّ إلى الفناء.

والإنسان من أول وجوده يعرف الظلم، ويقع منه، ولكن إذا اعتقد أن ظلمه عدل، كان ذلك طريقاً إلى الزوال لا محالة.

ولو علم الطليان أن الله يمهل ولا يهمل؛ لا تعظوا بمن تقدمهم من الأمم، التي أدال الله دولتها بسبب الظلم.

والذي تولى كبر هذه الفظائع كلها هو موسوليني، ومنفذوا أوامره كغرسياني، ومازتي، وَقِلْينَة الأَعْوَر، وبالبو، ومندنيشي، وغيرهم من أهل الحزب الفاشستي.

ومن غطرسة موسوليني وزبانيته، أنه لما أراد المجيء لليبيا؛ جمعوا لمقابلته جميع سكانها من أقصاها إلى أقصاها، على حافتي الطرق الساحلية من طبرق إلى طرابلس.

وحين جاء نزل في طبرق، وبات بها، وفي صباح اليوم الثاني طلع من طبرق مع طلوع الشمس، مشبهاً نفسه بشمس طلعت على الشعب الليبي.

وركب سيارة سريعة، وسار مغرباً إلى مغرب شمسه، ولم يقطع مسافة كيلو متراً بدون أناس على الطريق، يصفقون له في تلك المسافة كلها، إلى أن وصل طرابلس.

وفيها نزل من سيارته إلى الأرض، وأتى له بمدفع صعد عليه، وأفرغ رصاصة من مسدسه في الهواء، وقال: طرابلس مُلكنا إلى الأبد.

ولم يعلم أن تشبيه نفسه بشمس طلعت على الليبيين، يقتضي أن وصوله إلى طرابلس هو بلا شك، كوصول الشمس إلى مغربها،

وأن نـزوله من سيـارته إلى الأرض هـو كتزول الشمـس من الأفق، إلى أن وصلت الأرض، ولم يبق إلاّ غروب قرصها، وقد حان وقته الضيق السريع، ولذلك أمر زبانيته ـ بعد بضعة أشهر ـ بجبر الناس الكبـار من أهـل الشعب الليبي على التجنس بالجنسيـة الوطنيـة الإيطاليـة، كمـا تقدم.

التنبيه الثاني:

في سقوط إيطاليا، وخروجها من ليبيا

قد سقطت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وخرجت من ليبيا مذمومة مدحورة، وخيَّب الله زعم موسوليني في طرابلس.

فخرج منها هو وقومه أذلة صاغرين، ورأوا من شتات الشمل، وذهاب الدولة مافيه عبرة لمن يعتبر، ونالهم من العقاب أشد مانال ظالماً في التاريخ، وكان ذلك جزاء وفاقاً.

فقد رأت هذه الدولة وشعبها من الفواجع، ماكان مخبوءًا في القدر، مما يماثل ما أنزلوه بالليبيين سواء بسواءِ.

وبلغ من هوان موسوليني على قومه، أن قتل بأيدٍ إيطالية، وبقيت جثته على قارعة الطريقة، تتلقى لعنات الإيطاليين، وَتُرْكَلُ بأرجلهم، وكلما مرَّ عليها مَلَؤٌ من قومه سخروا منها، وبصقوا عليها، تحقيراً لشأن موسوليني، وجزاء لإجرامه.

ولعل في مثل هذه الكوارث مايعمِّر نفوس من تأخذهم نشوة الانتصار بحب الانصاف، والاعتراف للشعوب بحق الحياة الحرة.

فإن مايخبئه القدر لهم قد يكون أبلغ من النكاية مما صارت إليه إيطاليا؛ بسبب الظلم، «ومالله بغافل عما يعمل الظالمون».

وهـذا آخر مـايسر الله جمعـه للقراء الكـرام، ونسأل الله تعـالى حسن الختام، وأن يصلى ويسلم على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه مادامت الليالي والأيام.

وكـان الفرغ منـه عشية يـوم الاثنين 26 شعبـان سنـة 1398 هـ الموافق 31 يوليو سنة 1978م، بقلم مؤلفه محمد مفتاح قريو.



القصائد العشرة

في جهاد الليبيين ومقاومتهم للطليان الفاشستيين

من سنة 1911م إلى سنة 1970م

للشيخ/ محمد مفتاح قريو

القصيدة الأولى

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين بقيادة أعضاء مؤتمر غريان الذين أجمعوا على محاربة الطليان حين جاءوا في أساطيلهم لاحتلال ليبيا سنة 1911م وهي من بحر الوافر وأجزاؤه «مفاعلتن مفاعلتن فعولن» مرتين.

أَلاَ يَـــا مَنْ جَهِلْتَ جِهَــادَ شَعْبِي * سَــلِ التَّــارِيخَ عَنَّــا فِي الْجِهَــادِ
وعَن مَا كَانَ مِنَّا فِي الْحُرُوبِ * وَفِي سَحْقِ الـــطِّلاَيِنَــةِ الأَعَـــادِي
يُخَبِّــرْكَ بِمَــا نَــالُــواْ وَذَاقُــوا * مِن الْــوَيْــلاَتِ مِنْ أَبْنَــا بِــلاَدِي
فَحِينَ أَتَــوْا بِقَصْــدِ الْغَــزْوِ قَامَتْ * بِــلاَدِي ضِــدُّهُمْ حَضَــرِي وَبَــادِي
وَجَــاءَتْ كَــالسَّحَــائِبِ للدِّفَــاعِ * عَنِ الْــوَطَنِ الْعَــزِيــزِ بِــلاَ تَنَــادِي
وَحِينَ تَجَمَّعَتْ هَجَمَتْ عَلَيْهِمْ * تُقَــاتِــلُ بِــالسُّيُــوفِ وبِــالــزِّنَــادِ
وَقَــدْ خَــاضَتْ مَعَــارِكَ عَجَّــزَتْهُمْ * وَأَفْنَتْ مَــا لَــدَيْهِم مِن عَتَــادِ
وَأَصْبَــحَ جَيْشُهُمْ فِيهَــا وَقُــوداً * لِنَــارٍ صَيَّــرتْهُمْ كَــالــرَّمَــادِ
وَأَمْسَى مَن بَقِي مِنْهُمْ حَيَـــــارى * أَذِلاَّ عَـــاجِــــزِينَ عَنِ الجِــلاَدِ
فَجَــاءوا مِن مُصَــوَّعَ وَالصُّمَــالِ * بِقَــوْمٍ كَــالْعَقَــارِبِ وَالْجَــرَادِ
لِنُصْــرَتِهِمْ وَلكِنْ لَمْ يَنَــالُــوا * بِهِمْ غَيْــرَ الْهَــزَائِمِ وَالْكَسَــادِ
وَقَــدْ رُغِمَتْ أُنــوفُهُمُــو وَزَالَ * غُــرُورُهُمُــو وَغَــطْرَسَــةُ الْعِنَــادِ
فَــظَلُّوا بَعْــدَ ذَاكَ أَمَــامَ شَعْبِي * كَفِئْــرَانٍ أَمَــامَ قِــطَاطِ وَادِي
فَــإِنْ هَجَمُــواْ فَلَمْ يَــأْتُــوا بِشَيْءٍ * وَصَــارُوا فِي الْفَنَــاءِ كَقَــوْمِ عَــادِ
وَإِن لَــزِمُــوا مَكَــانَهُمُــوا أَتَــاهُمْ * مِنَ الثُّــوَّارِ ضَــرْبُ الاصْــطِيَــادِ
وَصَــارُوا فِي حِصَــارٍ مُسْتَمِــرٌّ * بِشَطِّ الْبَحْــرِ مِنْ غَيْــرِ امْتِــدَادِ

إلى أن مَـــرَّ مِنْ عَـــدَدِ السِّنِينَـــا * عَلَيْهِمْ رُبـــعُ قَـــرْنٍ في ارْتِصَـــادِ
وَلَكِن قَـــدَّرَ الْمَـــوْلَى عَلَيْنَـــا * بِـــأَن نفـــد الْعَتَـــادُ وَكُـــلُّ زَادِ
وَصِـــرْنَـــا لَيْسَ نَمْلِكُ مَـــايُقَـــوِّى * سَـــوَاعِـدَنَـــا عَلَى ضَـــرْبِ الأَعَـادِي
هُنَـــالِـــكَ قَـــدْ تَـــرَكْنَـــا الْبُنْـــدُقِيَّـــه * وَهَـــاجَـــرْنَـــا إِلَى أَقْصَـــا الْبِـــلاَدِ
وَلَيْسَ عَلَى بَنِي الأَوْطَـــــــانِ إِلاَّ * أَدَاءُ الْجُهْـــــدِ لا نَيْـــلُ الْمُـــرَادِ
وَأَلاَّ يَخْضَعُـــــــــوا لِـــــلأَجْنَبِيِّ * وَلاَ يَـــرْضَـــوا بِـــذُلٍّ وَاضْـــطِهَـــادِ
وَإِنْ هَبَّتْ رِيَـــاحُ النَّصْـــرِ قَـــامُـــوا * عَلَى الأَعْـــدَا بِتَجْـــدِيـــدِ الْجِهَـــادِ

ملحق القصيدة الأولى من قصائد الجهاد

يتضمن رفض الليبيين لصلح أوشي والأعمال التي قام بها سليمان الباروني وأحمد الشريف بعد الصلح المذكور في أبيات من بحر البسيط الذي أجزاؤه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن» مرتين.

لَمَّا أَتَى نَبَـوْ الصُّلْحِ الـذِي وَقَعَـا * بَيْنَ النَّصَـارَى وبَيْنَ التُّـرْكِ فِي أَوْشِي
وَبَقِيَتْ لِيبْيَـا كَـأَنَّهَـا خَنَشٌ * بَيْنَ كِـلَابِ النَّصَـارَى والْخَفَـافِيشِ
رَدَّتْ عَلَيْهِمْ بِرَفْضِ الصُّلْحِ غَاضِبَةً * وَتَـرَكَتْ حُكْمَ أَصْحَـابِ الطَّرَابِيشِ
وَأَهْلُهَـا شَمَّـرُوا عَلَى سَـوَاعِـدِهِمْ * مِن أَرْضِ دَرْنَا إِلَى قَصْرِ ابن كَمُوشِ[1]
وَبَـانَ فِيهَـا سُلَيْمَـانُ الـذِي جَمَعَـا * فِي غَـرْبِ غُـرْيَـانَ آلافاً مِنَ الْجَيْشِ
وَخَـافَ قَـومُ النَّصَارَى أَنْ يُهَـاجِمَهُمْ * فَهَـاجَمُـوهُ بِجَيْشِ الجَـوِّ وَالـرِّيشِ
وَوَاصَلُو الْحَـرْبَ أَيَّامـاً وَقَـدْ زَحَفُـوا * عَلَيْهِ حَتَّى نَأَى عَنهُمْ بِتَطْبِيشِ[2]
وَبَعْـدَهُ وَاصَلُوا زَحْفَ الْمَبِيـرِ إِلَى * أَنْ وَصَلُوا أَرْضَ فَزَّانٍ بِتَهْوِيشِ[3]
وَحَـارَبُـوا أَهْلَهُ حَتَّى بِـهِ قَتَلُوا * شَيخاً لأولادِ بوسَيْفِ التَّقَنفِيشِ[4]
وَبَعْـدَ ذَلِـكَ لَمْ يَلْقَـوْا مُقَـاوَمَـةً * لَكِنَّهُمْ قَدْ لَقُوا أَهْلَ الكَمَامِيشِ
وَبَان فِي شَرْقِهَا نَجْلِ الشَّرِيفِ وقَدْ * هَيَّأَ جَيْشاً لِضَرْبِ عَسْكَرِ الرِّيشِ
فَـأَرْسَلُوا رَجُـلاً لَـهُ وَطَمْعَـهُ * بِإِمْرَةٍ إِنْ يَكُن لَهُم كَخُرْبِيشِ
هُنَـاكَ أَهْلَكَـهُ الْغُـرورُ وَالـطَّمَـعُ * فِي ضَمِّ قَرْقَارِشٍ لِبِلْدَةِ الكِيشِ[5]
وَلَعِبَ الإنجليـزُ وَالـطُّلَايِنَـةُ * بِهِ وَصَارَ مِنَ النَّاسِ الدَّرَاوِيشِ
وَمَـاتَ فِي شِبْـهِ نَفْيٍ بِـالْحِجَازِ وَلَمْ * يَصِلْ لِرَاحَةِ قَلْبٍ أَوْهَنَا عَيْشِ

---

(1) المرد به: قصر أبي كماش.

(2) أي تباعد عنهم بالدخول في الأراضي التونسية.

(3) بتهويس: أي بارتكاب للمشقة الكبرى.

(4) به بمعنى فيه، والمراد بالشيخ محمد بن عبدالله البوسيفي والمراد بالتقنفيش: النهب وهو كناية عن الحرابة.

(5) المراد بقرقارش: طرابلس بتمامها، والمراد بالكيش بنغازي بتمامها ـ والمعنى المقصود أن طرابلس تكون تابعة لبنغازي.

القصيدة الثانية

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين، بقيادة سالم بن عبد النبي الزنتاني بعد صلح أوشى اسويسره الذي وقع سنة 1912م وهي من بحـــر البسيط وأجـــزاؤه «مستفعلن فــاعلن مستفعلن فعِلُن» مرتين.

لَمَّــا تَــوَغَّــلَ فِي صَحْــرَاءِ فَــزَّانِ * جَيشُ النَّصَارَى وَمَعْهُ القائدُ اميَاني

وَظنَّ فِيـــه خُلُوُّ الجـــوِّ والـــوَطنِ * فَبَـــاضَ فِيـــه بِتَصْفِيـــرِ وَألْحَـــانِ

قَــدْ فَــاجــأتهم بـه عِصَــابَــةُ البَطَل * سَـــالِمِ عَبْـــدِ النبي من آل زِنتَـــانِ

فَحَــارَبَتْهِمْ إلى أن مَــاتَ أكْثَــرهُمْ * وَفَـــرَّ بَـــاقِيهِمُـــو مِنْ أرْضِ فَـــزَّانِ

وَمِنْــهُ قَــدْ خَــرَجَ اميَــاني وَزُمْــرَتـه * يَسِيـــرُ لَيْـــلاً بِبَـــرٍّ دُونَ إعـــلاَنِ

وَجَــاءَ يَجْــرِي إلى مِصْــرَاتـةٍ وَجِــلاً * مُــرْتَعِبــاً خَــائِفــاً مِنْ كُــلِّ إنْسَــانِ

وَفَــازَ سَــالِمُ بِــالنَّصْــرِ وَسَــارَ إلى * هُـــونٍ وَسَـــوْكَنَـــةٍ وَأرضِ وَدَّانِ

ثم لقصر أبي هادي الذي اجْتَمَعُوا * فِيـهِ بِجَيْشِ التَّــواتِي وَالتُّكَــيْرَانِي

وَكَوَّنوا جَبْهَة فيه وَقَدْ شَرَعُوا * فِي الغَــزْوِ وَالنَهْبِ مِنْ رُوم وَسُكَّانِ

حَتَّى تَضَــايَق قَــوْمُ الــرُّومِ فِي الْــوَطَنِ * مِنْهُمْ وَجَــاءُوا بِجَيْشِ صُحْبَــةَ اميَــاني

وَوَجَّهُـــوهُ لِقَـــرْضَـــابِيَّـــةِ الْعَـــرَبِ * وَجَـــرَّبُـــوا حَظَّهُمْ فِيهَـــا بِـــإمْعَـــانِ

فَقَـــابَلَتْهُمْ هُنَـــاكَ جَبْهَـــةُ الْحُلَفَـــا * وَمِن قَفَـــاهُمْ أتَــاهُمْ قَــومُ رَمَضَانِ(1)

وَقَـــاتَلُوهمْ إلى أن مَـــاتَ أكْثَـــرُهُمْ * وَبَـــاءَ بَـــاقِيهِمُـــو مِنْهَـــا بِخُسْـــرَانِ

هَـــذا الـــذي قَـــالَــهُ الـــزَّاوِي وأيَّــدَه * سَفَّاحُ رُومَا الذي يُدْعَى جُرَزْيَانِي

وَالْحَقُّ مَــاشَهِــدَ الأعْــدَاءِ بِــه أبَــداً * لأَمَـــا ادَّعَـــاهُ أولـــوا زُورٍ وَبُهْتَـــانِ

---

(1) «جبهة الحلفاء» المراد بها جبهة العصابات الثلاثة التي تقدم ذكرها.

القصيدة الثالثة

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين بقيادة رمضان بك السويحلي بعد انتشاب الحرب العالمية الأولى سنة 1914م وهي من بحر الكامل وأجزاؤه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين.

قَدْ قَادَ جَبْهَاتِ القِتَالِ بِلِيبْيَا * جَمْعٌ تَحَيَّرَ مِنْهُمُ الطُّلْيَانُ
خَاضُوا غِمَارَ الْحَرْبِ دُونَ تَرَدُّدٍ * بِعَزِيمَةٍ وَجَمِيعُهُمْ شُجْعَانُ
مِنْهُمْ ثَلاثٌ قَدْ بَدَوْا فِي الأَوَّلِ * بَرَزُوا وَبَانَ لَهُمْ هُنَالِكَ شَانُ
ابْنُ الشَّرِيفِ كَذَاكَ بَارُونِيُّهُمْ * أَيْضاً وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا رَمَضَانُ
وَأَشَدُّهُمْ رَمَضَانُ إِذْ قَدْ دَوَّخَ * الرُّومَ وَلاحَ عَلَيْهِمُ الْخُسْرَانُ
وَلِذَاكَ قَدْ جَنَحُوا إِلَى السِّلْمِ وَقَدْ * خَضَعُوا إِلَى صُلْحٍ بِهِ اطْمِئْنَانُ
وَتَكَوَّنَتْ لِلشَّعْبِ جُمْهُورِيَّةٌ * وَطَنِيَّةٌ وَمَحَلُّهَا غُرْيَانُ
فَتَضَايَقَ الطُّلْيَانُ مِن تَكْوِينِهَا * فَاسْتَعْمَلَ الْمَالَ لِمَن قَدْ خَانُوا
وَطَفَتْ عَلَيهِمْ فِتْنَةُ المَالِ إِلَى * أَن اصْبَحُوا فِي صَفِّهِ وَأَعَانُوا
وَقَضَوا عَلَى رَمَضَانَ بِالقَتْلِ فَقَد * كَانَ لَدَى الوَطَنِ هُوَ الثُّعْبَانُ
قَتَلُوهُ مَظْلُوماً وَمَاتَ ضَحِيَّةً * لَكِنْ عَلَى الْوَطَنِ النُّفُوسُ تُهَانُ
وَبِقَتْلِهِ خَسِرُوا وَبَاءُوا بِالْفَشَلْ * وَقَضِيَّةَ الْوَطَنِ هُنَاكَ أَهَانُوا
وَتَنَبَّهُوا فِي كُلِّ مَأْسَاةٍ جَرَتْ * لِلشَّعْبِ قَدْ قَامَ بِهَا الطُّلْيَانُ
وَأَتَى بِهَا مِن بَعْدِ أَن قَامَ بِنَقْـ * ـضِ الصُّلْحِ وَانصَاعَ لَهُ الخُوَّانُ
وَتَجَدَّدَ الْحَرْبُ لَدَى بِمِصْرَاتَةٍ * وَالزَّاوِيَا وَاتَّسَعَ المَيْدَانُ
وَهُنَاكَ فِي مِصْرَاتَةٍ قَدْ أَصْبَحَا * سَعْدُونُ فِي الْجَيْشِ لَهُ جَوْلاَنُ
وَلِعَوْنٍ سَوْفَ جَوْلَةٌ فِي الزَّاوِيَا * وَبُطُولَةٌ قَامَ لَهَا بُرْهَانُ
لَكِن بَدَا الضَّعْفُ وَبَانَتْ فِتْنَةٌ * فِيهَا انطَوَى الزِّنْتَانُ وَالرُّجْبَانُ
وَانضَمَّ إِدرِيسُ إِلَى الْخُوَّانِ لَمْـ * ـمَا أَنْ أَتَاهُ بِبَرْقَةَ الطُّلْيَانُ
وَلَهُ قَدِ اعْتَرَفُوا بِإِمْرَةِ بَرْقَةٍ * انْضَمَّ مَن فِيهَا إِلَيْهِ وَلاَنُوا

فَلِذاكَ ثَبَّطَهُمْ وَقامَ بِصَدِّهِمْ * عَمّا عَلَيْهِ مِنَ الإِعانَةِ كانُوا
وَانضَمَّ لِلطِّلْيانِ خُرْبِيشُ وَجنْـ * ـدُ كُلِّ مُرتَزِقٍ لَهُمْ وَأَعانُوا
وَبِهِمْ تَحَصَّلَ قادَةُ الجَيْشِ الإِطا * لِيِّ عَلَى عَدَدٍ لَهُ حُسْبانُ
وَتَجَمَّعُوا حَوْلَ طَرابُلُسٍ إِلَى * أَن جُهِّزُوا وَأَتَتْهُمُ الأَعْوانُ
وَتَوَجَّهُوا مِثْلَ الْجَرادِ المنتشِرْ * حَتّى عَلَيْهِم ضاقَتِ الْبُلْدانُ
وَتَتَبَّعُوا أَرْضَ الشَّرِيطِ السّاحِلِي * مِن بَعْدِ أَن غادَرَها السُّكّانُ
وَلِذاكَ لَمْ يَجِدُوا بِها ما يَشْتَهُو * نَ وَقَدْ أَصابَتْهُمْ بِها أَحْزانُ
وَهُناكَ قَدْ وَقَعَتْ مَعارِكُ دامِيَةْ * قَدْ خاضَها أَبْطالُنا الشُّجْعانُ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيهِمُو * إِلّا الَّذِي فِي الاضْطِرارِ يُهانُ
فَلِذَلِكَ انسَحَبُوا وَلَمْ يَبْقَ أَمَا * مَ الرُّومِ إِلّا النَّخْلُ وَالْجِيشانُ
وَمَضَتْ جُيُوشُ الرُّومِ فِي الزَّحْفِ مُنْشَ * رِقَةً تَدِبُّ كَأَنَّها فِئْرانُ
ولِيَغْضِبِهِمْ قالُوا لِذي مِصْراتَةٍ * تَجِدُونَ ما لَمْ يُحْصِهِ الْحُسْبانُ
لَكِنَّهُمْ لَمّا أَتَوْها فُوجِئُوا * بِخَلائِها وَأَتَتْهُمُ الأَحْزانُ
إِذْ كُلُّ سُكّانِ الشَّرِيطِ تَباعَدُوا * عَنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ الْخَبِيثِ وَصانُوا
وَتَوَجَّهُوا مِن بَعْدِ ذاكَ بِمُدَّةٍ * كُلٌّ إِلَى جِهَةٍ بِها اطْمِئْنانُ

القصيدة الرابعة

تتضمن الشوط الذي قام به عون سوف المحمودي في الزاوية الغربية من جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين بعد نقضهم لصلح سواني بنيادم وهي من بحر الكامل أيضاً وقد تقدم أن أجزاءه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين.

بَعْدَ انتِقَاضِ الصُّلْح قَادَ الزَّاوِيَهْ * عَوْنُ بنُ سَوْفٍ فِي الْحُرُوبِ التَّالِيَهْ
وَقَد اسْتَعَانَ بِتَامِسْكَتٍ[1] فِي قِيَا * دَتِهِ لَدَى تِلْكَ الظُّرُوفِ القَاسِيَهْ
وَعَلَيْهِم الطُّلْيَانُ فِيهَا قَدْ هَجَمْ * وَهُنَاكَ قَدْ وَقَعَتْ مَعَارِكُ دَامِيَهْ
قَدْ خَاضَهَا عَونٌ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ * لَكِنَّهُ فَقَدَ الأُمُورَ الْكَافِيَهْ
فَلِذلِكَ انسَحَبَ إلَى الشَّرْقِ وَسَا * رَ إِلَى النَّوَاحِي الأَرْبَعِ الْمُتَوَالِيَهْ
وَبِهَا أَقَامَ وَصَارَ يَرْقُبُ حَالَةَ الطُّـ * ـلْيَانِ مِن تِلْكَ البِقَاعِ الرَّابِيَهْ
حَتَّى رَأَى مَا اجْمَعَ الطُّلْيَانُ فِي * تِلْكَ الجِهَاتِ مِن الْجُيُوشِ الْفَاشِيَهْ
يَبْغِي بِهَا أَخْذَ الشَّرِيطِ السَّاحِلِي * فِي كَرَّةٍ بِالْقُوَّةِ الْمُتَمَالِيَهْ
فَلِذلِكَ انسَحَبَ إِلَى تَرْهُونَةٍ * وَلأَهْلِهَا قَالَ اخْرُجُوا لِلْبَادِيَهْ
وَبِهَا أَقَامَ زُهَاءَ شَهْرٍ كَامِلٍ * حَتَّى تَحَرَّكَتِ الْجُيُوشُ العَادِيَهْ
وَأَذَلَّهَا سَعْدُونُ فِي السُّلْخِيَّةِ * وَأَقَامَ فِي القَطَّارَةِ الْمُتَنَائِيَهْ
وَهُنَاكَ قَدْ حَصَلَ اتِّصَالٌ بَيْنَ سَعْـ * ـدُونٍ وَعَوْنٍ فِي ظُرُوفٍ قَاسِيَهْ
وَتَوَافَقُوا رَأْياً عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا * مَافِيهِ تَعْطِيلُ الْجُيُوشِ البَاغِيَهْ
عَن سُرعَةِ الزَّحْفِ بِفِعِلِ كَمَائِنٍ * وَمُنَاوَشَاتٍ فِي الْبِلَادِ البَاقِيَهْ
وَبِذلِكَ الْوَصْفِ قَدِ انسَحَبُوا إلى * مِصْرَاتَةٍ دُون مَعَارِكَ حَامِيَهْ
إذ مَا بَقِي عِندَ الْجَمِيعِ ذَخِيرَةٌ * فِي خَوْضِ مَعْرَكَةٍ هُنَالِكَ كَافِيَهْ

---

(1) المراد به عبد الله تمسكت التركي

القصيدة الخامسة

تتضمن الشوط الذي قام به سعدون السويحلي في مصراته من جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين بعد نقضهم لصلح سواني بنيادم أيضاً وهي من بحر الكامل كذلك وأجزاوه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين.

بعد انتقاض الصلح في مصراتة * قاد الجهاد محمد سعدون
حين رأى أن الجهاد تعيننا * شرعاً وأوجبه علينا الدين
وحقوقنا بين الخلائق تظهر * أيضاً به كالشمس حين تبين
لما أباة العرب عن أوطانهم * شرقاً وغرباً حل فيهم هون
وتسلط المستعمرون عليهمو * وأتاهمو من ترك ذلك حين[1]
حتى به قامت جماعة ليبيا * من قوة الإيمان ليس تلين
أحيت جهاداً خالداً ومشرفاً * في مدة فيها الجهاد دفين
فالفضل في إحياء ذاك لأهلها * حقاً ومن ينكره فهو ضغين
قد علموا العرب الجهاد وجددوا * تاريخ أمتهم وزال الرين
ما مات منهم قائد إلا وقد * أخذ القيادة آخر مأمون
يحمي البلاد ويقهر الأعداء في * صف القتال كأنه مليون
ولذاك لما غاب عن مصراتة * رمضان قام مقامه سعدون
أسد العرين ورمز كل بطولة * سيف القتال مهند مسنون
في قصر أحمد ثم في السلحبية * شهدت له أعداؤه وعيون
بشجاعة صاروا بها في حيرة * وأصاب أكثر من رآه جنون
وكذاك في يوم المشرك حينما * خرج العدو وغره الملعون

---

(1) (حين) بفتح الحاء وسكون الياء المراد به الموت كما لا يخفى.

ـذ كَـادَ يهـزِمُهُمْ وَيمْحَقُ جَيْشَهُمْ * قَتْـلاً وَلَكِن قَـدْ أتَـاه الْحِينُ

أصِيبَ وَهْـوَ عَلَى الجَـوادِ يُقَـاتِـلُ * بِـرَصَـاصَـةٍ مِنْهَـا أتَتـهُ مَنُـونُ

ـاكَ لاَقَى رَبَّـهُ بِشَهَـادَةٍ * نَيْـلُ السَّعَـادَةِ عِنـدَهَـا مَضْمُـونُ

دَرُّكَ قَـائِـداً وَجَـزَاكَ بِـالْـ * خَيْـرَاتِ عَنَّـا اللهُ يَـاسَعْـدُونُ

القصيدة السادسة

تتضمن الشوط الذي قام به عمر المختار في برقة من جهاد الليبيين في الطليان الفاشستيين بعد نقضهم لصلح سواني بنيادم وهي من بحر البسيط وأجزاؤه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن» مرتين.

لَمَّا انتَهى شَوْطُ سَعْدُونٍ وَنَائِبِهِ * بِمَرْتِبِهِ قَدْ أتى شَوْطُ بنِ مُخْتَارِ
في أَرْضِ بَرْقَةَ قَدْ قَادَ الجِهَادَ وَكَا * نَ قُدْوَةً لأولي الإخْلاصِ لِلْبَارِي
قَدْ أمَّهُ النَّاسُ مِن كُلِّ المَنَاطِقِ وَانْـ * ضَمّوا إِلَيْهِ لأَخْذِ الحَقِّ وَالثَّارِ
خَاضَ المعَارِكَ حَتَّى لَقَّنَ الْكَفَرَهْ * فِيهَا دُرُوساً تَزِيدُ العِلْمَ لِلْقَارِي
وَأَصْبَحَتْ قَادَةُ الرُّومِ بِلا رَيْبِ * يَخْشَوْنَ سَطْوَتَهُ فِي دَاخِلِ الدَّارِ
وَحِينَمَا عَجَزُوا عَن دَفْعِهِ جَمَعُوا * سُكَّانَ بَرْقَةَ فِي عُقَيْلَةَ الْقَارِ
وَحَاصَرُوهُمْ بِهَا فِي مَوْقِعٍ حَرِجٍ * مُطَوَّقٍ بِجُيُوشٍ ثُم أسْوَارِ
بِحَيْثُ لَمْ يَنْتَفِعْ حِينَئذٍ عُمَرُ * وَقَوْمُهُ مِنْهُمُو بِمَدَدٍ جَارِ
وَلَمْ يَجِدْ مَدداً مِن خَارِجِ الْوَطَنِ * يَاتِي إِلَيْهِ وَلَوْ اقَلُّ مِقْدَارِ
لِذَاكَ صَارَ عَلى الدَّوَامِ يَرْقُبُهُمْ * ثُمَّ يُغِيرُ عَلَيْهِمْ وَقْتَ أسْحَارِ
وَحِينَمَا جَاءَ يَوماً لِلْمُرَاقَبَةِ * وَلَمْ يُرَافِقْهُ إلاَّ بَعْضُ أنْصَارِ
رَآهُ بَعْضُ الْجَوَاسِيسِ فَأخْبَرَهُمْ * فَعَارَضُوهُ لَدى الرُّجُوعِ بِالنَّارِ
مِن قُوَّةٍ قَدْرُهَا الفَانِ مَعْ مِائَةٍ * وَلَيْسَ مَعَهُ سِوى خَمْسِينَ أبْرَارِ
فَدَافَعُوا وَنَجَا الْبَعْضُ وَقَدْ هَلَكَا * أكْثَرُهُمْ مِن رَصَاصٍ مِثْلِ أمْطَارِ
وَانكَسَرَتْ يَدُ ذاكَ القَائِدِ الْبَطَلِ * وَمَاتَ مِنْ تَحْتِهِ جَوادُهُ الْجَارِي
فَآل لِلأسْرِ ثُم القَتْلِ وَانكَسَفَتْ * شَمْسُ الجِهَادِ لَدى مَوْتِ بنِ مُخْتَارِ

القصيدة السابعة

تتضمن ما قام به الليبيون في المهجر بعد انتهاء المقاومة في ليبيا وهي من بحر الخفيف وأجزاؤه «فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن» مرتين.

نَفِــذَ الــزَّادُ والــذَّخِيْــرةُ وَالصَّبْــ * ــرُ لَــدى مَــوْتِ عُمَــرَ الْمُخْتَــارِ
وَتَفَــرَّقَ شَعْبُنَــا فِي جِهَــاتٍ * مُتَعَــــدِّدَةٍ مِنَ الأقْـــطَارِ
بَعْــد أن قَــاوَمَ الْعَــدُوُّ زُهَــاءَ * رُبْــعِ قَــرْنٍ بِشِــدَّةٍ وَاصْــطِبَارِ
وَتَــوَلَّى الْكِفَــاحَ فِي ذَلِــكَ الْــوَقْـ * ـتِ أُولُـــوا الانْتِبَــاهِ وَالاقْتِــدَارِ
فِي الصَّحَــائِفِ وَالنَّــوادِي وَكُــلِّ * مَجْلِسٍ حَــادِثٍ جَــدِيــدٍ وَطَــارِي
وَاسْتَمَــرُّوا إلى أن انتشبَ الْحَــرْ * بُ العُمُــومِي الأخِيــرُ بِـالانْفِجَـارِ
فَهُنَــالِــكَ ثَــارَ شَعْبِي عَلَى الــرُّو * مِ لِــرَدِّ الْحُقُــوقِ وَالاعْتِبَــارِ
وَتَحَــرَّكَتِ الــرِّيَــاحُ وَهَبَّتْ * بِنَسِيمِ الأفْــــرَاحِ وَالانْتِصَــارِ
وَأتَت لِلْعَـــدُوِّ نَـــارُ حُــــرُوبٍ * مِن جِهَــاتٍ كَثِيــرَةٍ بِــانْتِشَــارِ
أكَلَتْ كُــلَّ مَــالَــهُ مِن عَتَــادٍ * وَرَمَتْــهُ بِــالــذُّلِ وَالانْكِسَــارِ
شَــارَكَتْ فِيهَــا لِيبِّيَــا الحلفَــا * كَيْ تَنَــالَ الْحُقُــوقَ فِي الانْتِصَــارِ
وَبِــهِ قَــد شَفَتْ غَلِيــلَ الْفُؤَادِ * فِي العَــدُوِّ بِضَــرْبِــهِ فِي الــدِّيَــارِ

القصيدة الثامنة

تتضمن ماقام به الليبيون من محاربة الطليان بعد انتشاب الحرب العالمية الثانية وهي من بحر الوافر وقد تقدم أن أجزاءه «مفاعلتن مفاعلتن فعولن» مرتين.

عَـدُوّ اللهِ قَـدْ أصْبَحْتَ تَجْـرِى * وَلاَ تَـدْرِي ولا تَـاتِي بفكـر
ألَمْ تَعْلَمْ بـأنّ اللهَ عَـدْلٌ * يُجَـازِى كُـلّ ذِي ظُلْمٍ وَمَكْـرِ
فَلَيْسَ جَـزاءُ مَـاعَمِلْتَ بِـذاكْ * سِـوَى نَـارٍ تُـطَهِّـرُ مِنـك بَـرّى
وَقَـدْ آن الأوانُ فَفِيـكَ شَـاطَتْ * حُـرُوبُ الْجَـأْتْـكَ إلى الْمَفَـرْ
وَقَـدْ هُـزِمَتْ جُيُـوشُـكَ بـانْهيَـارٍ * فَضِيـعَ جَـاءَهُمْ مِن بَعْـدِ كَسْـرِ
فَـأفْلَتَ بَعْضُهُمْ وَلَـهُ حُصَـاصٌ * وَبَعْضٌ مَـاتَ وَالْبَعْضُ بِـأسْـرِ
وَصِـرْتَ تَجُـرُ أذْيَـالَ الهـزِيمَـهْ * بِكَسْـرٍ لَمْ نُضَمِّـدْهُ بِجَبْـرِ
وَتحْمِـلُ فَـوْقَ رَاسِـكَ مَـاحَمَلْنَـا * بِهِـخَـرَبَتِنَـا عَلَى رَاسٍ وَظَهْـرِ
فَنَحْمَـدُ رَبّنَـا لَمّـا رَأيْتُـكْ * بعيني الآن في ذُلٍّ وَقَهْـرِ
زَعَمْتَ بـأنّ وصْفَـكَ وَصْفُ لَيْثٍ * وَوَصْفُـكَ فِي الْحَقِيقَـةِ وَصفُ فَـارِ
فَقَـدْ كَـذَبتْ عَلَيْـكَ النّفْسُ حَتّى * غَلِطْتَ وَقَـدْ طَمِعْتَ بِفَـكِّ مِصْـرِ
وَحَـرَّكْتَ الأسُـودَ إلَيْـكَ حَتّى * أتـوْكَ وَلاَ نَجَـاةَ سِـوَى المَفَـرْ
فَيَـرْ لإطَـالِيَـا وَمِن الْغَنِمَـهْ * تَعَـوُّضْ بِـالإيَـابِ إلى الْمَقَـرْ
أقُـولُ لَـكَ ارْتَحِـلْ وَاتْـرِكْ بِلاَدِي * عُمُـومـاً واخْـرُجَن مِنْهَـا بِـذُخْـرِ
وَفِـرْ بِخَسْـرةٍ وَاذْهَبْ بِخِـزْيٍ * كَمَـا ذَهَبَ الحِمَـارُ بِـأمّ عَمْـرِو
فَـلاَ رَجَعَتْ وَلاَرَجَـعَ الْحِمَـارُ * وَأنتَ فَـلاَ رَجَعْتَ لِيَـوْمِ حَشْـرِ

القصيدة التاسعة

في جلاء الطليان من ليبيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهي من بحر البسيط وقد تقدم أن أجزاءه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن» مرتين.

قَـدْ فَـرَّ مِن لِيْبِيَا الـطِّلْيَانُ مُنْهَزِمَا * مِن بَعْدِ حَرْبٍ طَوِيلٍ دَامَ فِي لَهَبِ
خَمْسـاً وَعِشْـرِينَ عَـاماً مَعْ ثَمَانِيَةٍ * وَبَعْـدَهَـا بَـاءَ لِلفِـرَارِ وَالْهَـرَبِ
وَقَـد فَـرِحْنَـا وَلَكِن لَمْ يَـدُمْ فَـرَحٌ * حَيْثُ أَتَتْ بَعْـدَهُ حَمَّـالَـةُ الْحَـطَبِ
فِي جِيـدِهَـا مِلْكٌ مِن أُسْرَةٍ عُـرِفَتْ * بِحُبِّهَـا انقَلْتَـرا مِن سَـالِفِ الْحِقَبِ
فَـأَرْغَمَتْ شَعْبَنَـا عَلَى قَبُـولِهُمُـو * لِـذَلِـك الْمَلِكِ المَـدْعُـوِّ بِـالـذَّنْبِ
وَرَبَـطَتْ لِيْبِيَـا بِـهِ وَقَـدْ حَكَمَتْ * كَمَـا تَشَـاءُ عَلَيْـهِ دُونَ مَـا تَعَبِ
وَسَجَنتْ كُـلَّ مَن عَـارَضَ رَغْبَتَهَـا * فِيمَـا أَرَادَتْـهُ مِن حُكْمٍ وَمِن طَلَبِ
وَمِن زَبَـانِيَـةٍ جَـاءَتْ بِهِمْ فَـرَضُـوا * حَمْـلَ الْـوَزَارَةِ وَالتَّنْـوِيبِ وَالْـرُّتَبِ
وَقَـدْ سُجِنتُ مَـع الـذِين قَـدْ سُجِنُـوا * فِي سِجْنِ «بِينِيتُو» فَاشْتَغَلْتُ بِالكُتُبِ[1]
وَقُلْتُ يَـا حَبَّـذَا السِّجْنُ أَحَبُّ لَنَـا * مِنَ الْخُضُـوعِ إِلَى عَـدُوَّةِ الْعَـرَبِ
وَصِـرْتُ بَعْدَ خُروجِي فِي نَـظَارَتِهَا * خَمْسَ سِنِينَ لَـدَى خَصْـرٍ وَمُـرْتَقِبِ
ثُمَّ اسْتَـرَاحَتْ فَكَفَّتْ عَن رَقَـابَتِنَـا * وَظَنَّتِ الشَّعْبَ قَـدْ مَـاتَ مِن الـرُّهَبِ
فَعِنْـد ذَلِـكَ هَبَّ الشَّعْبُ وَانفَجَـرَ * لَيْلاً بِجَيْشٍ يُحَاكِي مُمْطِرَ السُّحُبِ
وَجَـاءَهَـا فَـرَمَى بِهَـا وبِـالمَلِكِ * وَبِـالـزَّبَـانِيَـةِ الحُكَّـامِ بِـالْكَذِبِ
وبِـالحليفـة أمـريكـا وَجَـالِيَـةِ الـطْـ * طِلْيَـانِ فِي لُجَجِ الْبَحْـرِ بِـلا عَجَبِ
وَفِي دَقَـائِقَ قَـدْ دُقَّتْ رِقَـابُهُمُـو * وأصبحوا في سعير النار كالحطبِ
وَاللَّهُ قَـدْ نَصَـرَ الْحَقَّ وَقَـدْ كَسَـرَا * كُـلَّ النَّصَـارَى وبَـاءُوا مِنْـهُ بِـالْغَضَبِ

---

(1) (بينيتو) كلمة أجنبية تطلق على سجن معروف في مدينة طرابلس.

وَانقَشَعَتْ ظُلْمَةُ الظُّلْمِ وَقَدْ خَرَجُوا * مِن لِيبِيَــا دُونَمَــا رِبْــحٍ وَمُكْتَسَبِ
وَرَدُّ جِنْشِـــذِ شَعْبِي كَـــرَامَتَـــهُ * وَنَـــالَ حُـرِّيَّـةً أَصْفَى مِنَ الـذَّهَبِ
وَمَعَهَـــا كُـــلُّ أَمْـــرٍ هَيِّنٌ أَبَـــدًا * حَتَّى وَلَـــوْ كَـانَ فِيـهِ شِـدَّةُ التَّعَبِ

القصيدة العاشرة

في جهاد مصراته وأدلته وبراهينه وهي من بحر الكامل وقد تقدم أن أجزاءه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين.

مِصْرَاتـةُ ذَاتُ الـرِّمَـالِ بِـلاَدِي * قَـدْ جَـاهَـدَتْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِي
كَمْ جَـاهَ لِلطُّلْيَـانِ هَـزْمٌ وَاضِـحٌ * مِنْهَـا وَنَـالُـوا أكْبَـرَ الانكَـادِ
شَهِـدَتْ بِـهِ ضُبَّـاطُهمْ وَجُنُـودُهُمْ * وَالحَقُّ مَـاشَهِـدَتْ بِـهِ الآعَـادِي
قَـدْ حَـارَبَتْ فِي لِيبْيَـا مِن غَـرْبِهَـا * حَتَّى إلَى الشَّـرْقِ بِـدُونِ هَـوَادِي
وَصَحَائِفُ التَّارِيخ قَدْ حَفِظَتْ لَهَا * أسْمَى جِهَـادِ رَغْمَ كُـلِّ مُعَـادِ
مَـا كَـانَ يخفَى حَـرْبُهَا وَجِهَادُهَـا * إلاَّ عَلَى وَغْـدٍ مِن الأوْغَـادِ
بَـلْ حَـارَبَتْ حُكَّـامَهُمْ وَفُلُولَهُمْ * حَتَّى لَـدى استعْمَـارِهِمْ لِبِـلاَدِي
فَـابَتْ قُبُـولَ صَحِيفَـةِ الجِنْسِيَـةِ * مِنْهُم بِـرَفْضِ كَـامِـلٍ وَعِنَـادِ
وَأتَتْ بِمَـا قَـدْ حيَّـرَ الأفْكَـارَ مِن * حُكَّـامِهِمْ حَـالَ اجْتِمَـاعِ النَّـادِي
وَقَـدْ اسْتَمـرَّت فِي مُقَـاوَمَةِ العِـدَا * فِي كُـلِّ وَقْتٍ بِـالسِّلاَحِ الْعَـادِي
حَتَّى تَـطهـرُ شَعْبُهَـا الآن وَنَـا * لَ حُقُـوقَـه رغمـاً عَلَى الأعَـادِي
وَجَـلا الأجَـانِبُ عَن تُـرابِ بِـلاَدِنَـا * وَتَـطَهـرَتْ مِمَّن أتَـوْا لِجِـلاَدِى
لَكِنَّهُمْ أبْقَـوا لَـدَيْنَـا بِـزْرَةً * قَـدْ أمْعَنَتْ فِي النَّهْبِ والإفْسَـادِ
وَقَضَتْ عَلَى حُكَّـامِنَـا بِـالـرِّشْـوَةِ * وَالْخَمْـرِ وَالتَّفْكِيـهِ وَالإلْحَـادِ
يَـارَبِّ أهْلِكْهَـا وَعَجِّـلْ بِـالْخَـلاَ * صِ لِشَعْبِنَـا مِن شَـرِّهَـا يَـاهَادِي
وَقَـد اسْتَجَـابَ اللهُ ذَلِـكَ حِينَمَـا * قَـامَتْ عَلَيْهِمْ ثَـوْرَةُ الأوْلاَدِ
وَرَمَتْهُمـوا فِي الْبَحْـرِ رَمْيَ كُنَـاسَةٍ * بَقِيَتْ مِنَ الـرُّومِ بِـوَسْطِ بِـلاَدِي
وَمَضَـوا إلَى رُومَـا فَـلاَ رَجَعُـوا وَلاَ * رَجَـعَ الْحِمَـارُ بِهِمْ لِهَـذَا الـوَادِي

٦ ـ قصيدة تشتمل على تآمر الغربيين على العرب والمسلمين وهي:

قد حاول الغرْبُ[1] بكلّ وسيلةٍ * من غابرِ الأوْقاتِ والأزمانِ
أنْ يضربُوا العُرْبَ[2] بأقْوى ضربَةٍ * تُبْقيهمُو كالبُكْمِ والعُمْيانِ
لكنّهُمْ رغْمَ العواصِفِ كُلّها * لَمْ يلْحقُوا ضرْبَ أولي الإيمانِ
إلاّ لَدَى الحرْبِ العُمُومي الأوّلِ * وزوالِ سَلْطنةِ بني عُثْمانِ
فهُناكَ صارَ العُرْبُ مَعْ أوْطانِهِمْ * في قبْضَةِ الرُّومِ بلا فُرْسانِ
فتصرّفَ الأعْداءُ فيهمْ كيْفما * شاءُوا مِنَ التَّقْسيمِ لِلْبُلْدانِ
بسِياسَةٍ بُنيَتْ على مَاقالَهُ * مُتفلْسِفٌ لإسْكنْدَرَ اليُوناني
ونَوَوْا فَلَسْطِينَ ولكِنْ أرْجؤوا الـ * أمْرَ إلى الحرْبِ العُمُومي الثّاني
لمّا انْقضى زفُّوا إلى عُمَلائِهِمْ * مَلكيّةً في تِلْكُمُ الأوْطانِ
وعَليْهِمُ اشْترطُوا بِأنّ صَداقَها * تَرْكُ فِلسْطينَ إلى الفتْيانِ
فلِذاكَ جُلُّ مُلوكِنا قدْ أصْبحُوا * في شَأنِها دوماً مِنَ الخُوّانِ

* * *

لوْلا الجَماهيرُ وثَوْرَةُ يُوليُو * لَقضَوْا عَلَيْها الأمْرَ في المَيْدانِ
لكِنّ رَبَّ البَيْتِ سَخّرَ مَنْ أطا * حَ بِبَعْضِهِمْ في أسْرَعِ الأزْمانِ
وتَنَقّلَ الحُكْمُ لِجُمْهُوريّةٍ * شَعْبيّةٍ بجَمالِها الفَتّانِ
مِنْ حينِ بَانَ أبانَ لِلْجُمْهورِ أنْ * نَ مُلوكَهُمْ كانُوا مِنَ الخُوّانِ

---

(1) الغرب ـ بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء ـ المراد بهم: أهل الدول الغربية.

(2) العرب ـ بضم العين المهملة، وسكون الراء ـ لغة في العرب كما لا يخفى.

وَدَعَا بَنِي الْعُرْبِ إلى أَنْ يرفُضُوا * رَأْيَ المُلُوكِ تُجَاهَ ذَاكَ الشَّانِ

فَأَجَابَهُ الْكُلُّ بِرَفْضِ جميعِ ما * رَضِيَ المُلُوكُ بِهِ مِنَ الْهَذَيَانِ

وانْضَمَّ جُلُّ بَقِيَّةِ الرُّؤَسَا إلى * فِكْرِ جمالٍ صاحبِ الرُّجْحانِ

وَهُنَاكَ قَدْ فَشِلَ المُلُوكُ واصْبَحُوا * في الخَوْفِ مِنْ غَرَقٍ وَمِنْ طُوفانِ

لكِنَّهُمْ لَمْ يَيْأَسُوا، وَلِذَاكَ قَدْ * سلكُوا طريقَ المكْرِ والخِذْلانِ

حَتَّى تَوَارَى بالْحِجابِ جَمالُ عَنْ * دُنيا الْكِفَاحِ وسارَ للرَّحْمانِ

وَأَتَى لمصْرَ - هُنَاكَ بَغْلٌ أَسْوَدُ * ذاتاً وأفْعالاً ونُطْقَ لِسانِ

تَرَكَ الصَّوَابَ وَعانَقَتْ أَفْكارُهُ * فِكْرَ المُلُوكِ وزادَ بالإِعْلانِ

حَتَّى بِهِ قَدْ قَارَبُوا أَنْ يَجْعلُوا * أحْلامَهُمْ في حَيِّزِ الوِجْدانِ

وَمَضَى كِفَاحُ المُخْلِصِينَ بِغَيْبِهِ * وبضِدِّ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ

وَأَزَالَ أَبْنَاءُ الكِنَانَةِ رَأْسَ ذَا * كَ الْبَغْلِ يَوْمَ الْحَفْلِ فِي الْمَيْدَانِ

وَبِهِ تَزَايَدَ خَوْفُ أَصْحابِ الْعُرُو * شِ مِنَ الْجَمَاهِيرِ لَدَى الْغَلَيَانِ

وَتَحَقَّقُوا أَنَّ الَّذِي قَدْ خَانَ لا * يَبْقَى رئيساً عِنْدَ أَهْلِ الشَّانِ

2 ـ قصيدة تتضمن ترغيب العرب في الوحدة

وهي:

فِي وَحْدَةِ الْعُرْبِ إرْهَابُ المُعَادِينَا * وَقُـوَّةٌ تَحْـرُسُ الأَوْطَـانَ وَالـدِّينَـا
وَتَجْعَـلُ الْعُـرْبَ فِي أَوْطَانِهِمْ سُعَدَا * وَبَيْنَ أَعْـدَائِهِمْ دَوْمـاً مُهَـابِينَـا
وَعَـامِلِينَ بِمَـا الْمَـوْلَى بِـهِ أَمَـرَا * فِيمَـا بِـهِ قَـدْ أَتَى خَيْـرُ النَّبِيِّينَـا
فَـاللهُ قَـالَ: أَعِـدُّوا دَائِمـاً أَبَـداً * مِنْ قُـوَّةٍ مَـا اسْتَـطَعْتُمْ لِلظَّلُومِينَـا
وَالْكَـافِـرُونَ هُمُ الـظُّلَّامُ قَـدْ ثَبَتَـا * هَـذَا بِنَصِّ كِتَـابِ اللهِ بَـارِينَـا
وَكُلُّنَـا لَمْ يَـزَلْ مِنَ الْخَلِيجِ إِلَى الْـ * ـمُحِيطِ يَـطْلُبُهَـا وَهْيَ أَمَـانِينَـا
لَا سِيَّمَـا بَعْـدَ أَنْ تَـآمَرَتْ دِوَلُ الْـ * ـغَـرْبِ عَلَيْنَـا بِتَـأْيِيدِ الْحَقُـودِينَـا[1]
وَأَظْهَـرَتْ حِقْـدَهَا ـ لَنَـا زَعِيمَتُهُمْ[2] * فَـزَرَعَتْ بَيْنَنَـا الْقَـوْمَ الْمَلَاعِينَـا[3]
وَسَلَّطَتْهُمْ وَقَـدْ قَـامَتْ بِقُـوَّتِهَـا * عَلَى حِمَـايَتِهِمْ مِنْ نَيْـلِ أَيْـدِينَـا
وَطَعَنَتْ بِهِمُـو الْعُـرْبَ لِتَقْتُلَهُمْ * لَكِنَّهَـا وَجَـدَتْهُمْ لَا يَمُـوتُـونَـا
وَغَـرَّهَـا مَـا رَأَتَ فِي نَقْدِ وَحْدَتِنَـا * مِنَ انْحِـطَاطٍ أَتَـانَـا مِنْ مَـسَاوِينَـا
فَـزَعَمَتْ أَنَّهَـا تَنَـالُ بُغْيَتَهَـا * مِنَّـا بِـذَاكَ وَلَمْ تَخْسَـرْ مَـلَايِينَـا
لَكِنَّهَـا لَمْ تَنَـلْ شَيْئـاً وَقَـدْ خَسِـرَتْ * وَأَطْفَـأَ اللهُ مَـا قَـدْ أَوْقَـدَتْ فِينَـا
وَانْقَلَبَ الْأَمْـرُ فِي ذَاكَ لِصَـالِحِنَـا * وَصَـارَ جُـلُّ بَنِينَـا وَحْـدَوِيِّينَـا
وَعَـرَفُـوا جِيَـلَ الْأَعْـدَاءِ قَـاطِبَـةً * وَمَـا يُـرِيـدُونَـه لَنَـا وَيَبْغُـونَـا
يَبْغُـونَ فِتْنَتَنَـا وَمَـوْتَ وَحْدَتِنَـا * وَنَهْبَ أَوْطَـانِنَـا وَجَهْلَنَـا الـدِّينَـا
مَـالِي أَرَى سَـادَةَ الْعُرْبِ لَهَـا غَفَلُوا * مَـعْ عِلْمِهِمْ أَنَّهَـا خَيْـرٌ لِأَهْلِينَـا
وَأَنَّهَـا سَهْلَةُ الْحُصُـولِ لَـوْ حَسُنَتْ * نِيَّـاتُهُمْ وَسَعَـوْا فِيهَـا مُجِـدِّينَـا

---

(1) الحقودينا: هم اليهود الملاعين.
(2) زعيمتهم: المراد بها: أمريكا.
(3) القوم الملاعين: هم اليهود؛ لأن الله لعنهم في القرآن. كما لايخفى.

وَآثَـروا كُـلَّ مَـا يَـزِيـدُ أُمَّتَنَـا * عِـزّاً وَفي الأَرْضِ تَمْكِينـا وَتَـامِينـا

بَـلْ بَعْضُهُمْ صَـارَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَـا أَبَـداً * وَقَـالَ: بَعْـدَ الصِّحَـابِ لَيْسَ تَـأْتِينـا

وَالبَعْضُ قَالَ: ظُرُوفُ العُرْبِ تَمْنَعُهَا * حَتَّى وَإنْ أَمْكَنَتْ عَقْـلاً وَتَخْمِينـا

وَالبَعْضُ حَـارَبَ مَنْ قَـدْ قَـامَ يَطْلُبُهَـا * وَقَـدْ أَصَـرَّ عَلى ضَـدِّ المُلَبِّينـا

وَمَـعْ هَـذا فَـلا غَـرْوَ إذا سَنَحَتْ * فُـرْصَـةُ وَحْـدَتِنَـا عَـادَتْ كَمَـاضِينَـا

وَقَهَـرَتْ كُـلَّ مَنْ عَـادَى وَحَـارَبَهَـا * وَصَيَّـرَتْـهُ مِنَ القَـوْمِ الأَذَلِّينـا

وَعَـادَ لِلْمُؤْمِنِينَ عِـزٌّ وَحْـدَتِهِمْ * إنْ نَصَـرُوا اللَّهَ وَالإِسْـلامَ وَالـدِّينَـا

وَقَـاتَلُوا في سَبِيـلِ الله وَالـوَطَنِ * صَفَّـاً وَصَـارُوا جَمِيعـاً وَحْـدَوِيِّينَـا

مصادر ومراجع الكتاب

1 - جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، للطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الأولى سنة 1950م، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

2 - رمضان السويحلي، لمحمد مسعود فشيكة، ط - الفرجاني طرابلس - ليبيا.

3 - سعدون - البطل الشهيد - لعلي مصطفى المصراتي ط - دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا.

4 - نحو فزان، لرودولفو جراتزياني، تعريب: طه فوزي، ط - الفرجاني طرابلس ليبيا 1970م.

5 - معجم معارك الجهاد في ليبيا - لخليفة محمد التليسي ط/ الدار العربية للكتاب 1983م.

6 - كُناشة منقولات بخط المؤلف محمد قريو.

7 - معلومات محفوظة في ذهن المؤلف أيضاً.

8 - كتاب الشبية الفاشستية، لشباب الليتوريو.

المحتويات

[المرحلة الثالثة]

(القصائد العشرة)

في جهاد الليبين ومقاومتهم للطليان الفاشستيين